خيوط العنكبوت

خيوط العنكبوت

محمود العيسوي

تصميم الغلاف: أسامة علّام

المراجعة اللغوية: سارة سرحان

رقم الإيداع: 2017/5429

I.S.B.N:978- 977- 85342- 3-2

الطبعة الأولى 2017م

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

محمود العيسوي

خيوط العنكبوت

مجموعة قصصية

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ

(الرعد:11)

صدق الله العظيم

الى روح أبي "رحمه اللّه" الذي علمني كيف أكتب ،

وكيف أقرأ ،، اهداء الى روحه الطاهرة..

إلى أمي"حفظها اللّه " التي صبرت ، وضحت ،،

جازاكي اللّه نعيم الآخرة

الى روح الشهداء الذين ضحوا من أجل الوطن ، لن تمت ذكراكم ، وستبقى حاضرة ..

خيوط العنكبوت

يجلس الكاتب المشهور كعادته في قفصه الذهبي، تلك الحجرة التي عاش فيها أجمل لحظات كتاباته، قصصه التي أحب فيها الكثيرين وكره الكثيرين وأنصت فيها للكثيرين، داخلها كتب آلاف السطور ورصَّ آلاف الكلمات، وانتشى من خمرة الجمال، وعايش شبق الحب بجنون لم يألفه من قبل، جنون الفن والعشق للكتابة، حيث كان ينسلُّ من بين الشخوص ويرسل جسرًا لقلب قد أحزنه طول الفراق، وصغير آلمه الحرمان، لقد جمعهم بيده بخيوط عنكبوتية وراقصهم كما يراقص الأرجوز ألعابه الملونة لتحكي ألف حكاية.

داخل حجرته الخاصة جلس اليوم شارد الذهن يفكر في أمرٍ ما.

ربما كان منشغلًا في صيد فكرة جديدة، هكذا خمَّنت "عُلا".

تلك الزوجة اللَّبقة التي انحدرت من أسرة عاشت الفن وضرب العود، هي عاشقة كما هو زوجها للجمال، لقد أحبته من سطوره.. كم عشقت قراءتها!

كم خبَّأت منها تحت وسادتها لتحلم به، ليمد القمر بينهما شعاعًا من نورٍ فضيٍّ يسكنهما في سحر الكلمات!

لكنها اليوم وَجِلة من شيء ما، تدور الهواجس في نفسها كما دوامة، فتثير كثبانها كما ساحر أرسل تعويذته. أيكون سحرًا ما؟!

ترسل شباك عينيها لتوصدها الأشجار المحنطة خلف نافذة بيتهما في وسط المدينة المكتظَّة بالعلب الإسمنتية، فتهيم ثانية بسلسلة من التأوُّهات المكتومة تسجنها في نفسها القتيلة.

تضع الآن فنجان القهوة المضبوطة كما اعتادت أن تفعل كل يوم منذ خمس عشرة عاما، ثم تغيب فلا يشعر بوجودها، ولا تثيره رائحة عطرها (بلو) ذي الماركة العالمية، الذي كان له سحر خاص لا يكاد يقاومه.. ماذا حدث؟ وما الذي تغير؟

انصرفت ونظراتها لم تتجاوز ذلك الجدار المرسوم بينهما، كلاهما يبصره دون أن يعلم أي منهما أن الآخر يراه كما يفعل هو.

روتين الأيام يعيدها إلى حيث تذبل كما زهرة الجاردينيا التي زرعتها في شرفة منزلها الضيق، بعد أن مدَّت فروعها في الهواء وغازلت خيوط الشمس المنسلَّة من بين الصفائح المعدنية وأنفاس المدينة الخانقة، لكنها اليوم قد ذبلت واصفرت أوراقها..تلك النظرات الحائرة تخنقها بسؤال لا تجد له جوابًا وبالكاد تستطيع الفرار منه، لما تراه يطغى على حياتها، وكأنَّما يلف حبل المشنقة حول عنقها.. أتراها نقطة النهاية؟! إلى متى؟

رغم أنه يعرف أنها تتحاشاه، وتقبض نظرها قبل أن يصطادها، لقد كانت نظراتها كما لو كانت رصاصة خرجت من بندقية صياد فأصابت صدره.

لم تتحاشاه؟ لم لا تحبه كما كانت من قبل؟ أتراه حقًّا ذلك الخيط الرفيع قد انقطع؟

لكن الحب ليس خيطًا، إنه كيان يخفق بين اثنين هو وهي، والحب لا يمكن أن يموت..

فلم تراه مات بينهما؟ وتلك الصغيرة ثمرة حب صادق.. أكان يخدعها ويخدع نفسه كما يفعل بين أوراقه؟!

هو ذاته سئم من انتظار الإجابة!

إلى متى؟!

أربع سنوات مضت لم تكن سهلة على كاتب مرموق مثله.. كتب العديد من الروايات والقصص وأثار الكثير من الفتيات والشبان.. هو اليوم مقيَّد بزاوية في صحيفة بائسة، لا يقرؤها الكثيرون، مجرد مقالات عابرة تضج بالعبثية والسخرية، لا يكتب فيها ما كان يتَّقد يومًا في نفسه، مكتفيًا فقط بمقالات عبثية هزلية تحاول جاهدة انتزاع الضحك من جمهور لم يعد يبالي بما يحشوه قلمه الباهت من كلمات. أخذ يفكر كثيرًا ودخان السجائر يحرق في صدره آهات عابرة وجروحًا غائرة لا تلتئم أبدًا.

ما ذنب تلك الزوجة المسكينة، في أن تبقى وحيدة في مسكن زوجية مزيف، كل ما يجمعهما سرير خشبي قد نخر السوس أرجله، وحجرات منفصلة تبعث البرودة في الجدران.. أين ذاك الدفء الذي كان؟

بيت تسللت روحه وروح "بسمة" كطيف هبط إليه من السماء..

تلك الطفلة التي ملأت البيت بهجة وسعادة وأوقدت فيه شموع الحياة، شرخ رحيلها جدران البيت كاملا، فأصبح خاويًا تتخطَّفه الريح.

" أين ذهبت بسمة؟ ولم رحلت من دوني؟ أيعز عليك لو كنا معًا؟ نلهو ونحبو معًا على فراش من أحلام صغار؟!"

الدموع التي يأسرها منذ زمن حارقة يذرفها، والسحابة السوداء تستر ضعفه وهزيمة الأب فيه.

جلس الكاتب ونيران الذكريات في صدره لا زالت متقدة كما لو كانت بالأمس، وأخذ يلملم خيوط العنكبوت بيديه فيثيره التصاقها به رغم هشاشتها، يصب اللعنات في الفراغ الأسود.. ويتفل بصاقه إلى شبح الصورة القاتمة.. في المشفى كان كبركان يقذف الحمم، وهو يحمل صغيرته بسمة بين ذراعيه..

كم كتب ألف قصة وقصة حتى اختلطت السطور.. لقد أدرك حينها فن الهزيمة الذي كان يرفضه وعجَّت سطوره بالدموع واللعنات والهيجان، وقد أيقن أنه لن يستطيع أن يفتح بابًا للحب، بل سيوصد كل الأبواب..كيف كان خطأ الطبيب سببًا في موت زهرة حياته؟ لم يكن إيمانه ضعيفًا ولا صبره قليلا.. ولكن فؤاده انكسر كما انكسرت حياته، وقلمه قد انكسر أيضًا ونضبت محبرته.

وأمها المسكينة هائمة بروحها، لم تكن لديها حيلة لتخفف عنه ولا لتعوضه.. وعن أي عوض يسأل؟ وكل الأوجاع بسمة، وكل الأحلام ماتت مع رحيلها.

ألا يكفيها ألمها وما أصابها من ذلك المرض الذي نهش رحمها.. فكان الولد أم هي؟ فلتكن هي!

ربما لم تعد تستطيع الإنجاب كما أخبرها الطبيب، ولكنها تستطيع إنجاب الفرحة من رحم الوجع، تستطيع بحبها أن تعوضه محنة الفراق، فلم لا تفعل؟

الكاتب مرآة للمجتمع، وسطوره تثبت التاريخ، وتكتب الدواء كثيرًا من الأحيان، هو يدرك هذه الحقيقة، فلم لا يستطيع فعل ذلك اليوم؟ لأجساد أناس أشبعتها سموم الواقع.. ولكن هل كانت كتاباته تفعل هذا يومًا؟

كان يكتب روايات وقصص كوميدية أثملت قراءه بسكرة، وأسرته بعالم من أفراح مترفة.. ربما لم تكن تهدف لشيء سوى الضحك والإثارة فحسب..

فأين من أضحكهم وأسعدهم منه الآن؟

أين بسمته؟ وأين ذهبت "بسمة"؟

لا أحد يسأله سوى متى ستنتهي من نصِّك القميء؛ ليحشو به عامودًا في جريدة سيئة السمعة؟ عمَّ سيبحث في صفوف رواياته؟ عن الأمس أم اليوم أم عن اللا شيء؟ ربما سيقرأ روايته هو وينبش قبره بيديه ويسكن على ألفة القبور..

هل سيعود؟

لا أحد يخبره بعودتها من جديد إلى حياته.. فليخبره أحدهم بعودة بسمة ربما سيعود بعدها.

ماذا سيكتب بعد ذلك إذًا؟ وعمَّن سيكتب؟ أي واقع يستحق أن يكتب عنه؟

هل يكتب عن الفساد الذي تفشَّى، أم عن الاقتصاد الذي انهار، أم عن حالات الطلاق والعنوسة التي انتشرت، أم عن الشعب الذي ساءت أخلاقه وصحته، أم عن الوطن الذي انتحرت آمال أبنائه في أن يعود؟!

خياله لا زال خصبًا ولكن لا زال واقعه يبحث عن "بسمة".

فلم لا يكتب عنها؟

يا لها من فكرة! كيف غابت عني؟

على الفور تحمَّس الكاتب واجترَّ قلمه المغمد منذ سنين، وبدأ يرسم خيوط روايته الجديدة.

الصفعة

في ذلك المكان المزدحم دائمًا في هذا الوقت بالذات، كنت واقفًا مع صديقي في انتظار القطار القادم من محطة مصر، حيث أنه من طراز "إكسبريس"، يأتي عادة في تمام الساعة الواحدة وأربعين دقيقة، إلا أنه في الفترة الأخيرة يمكن استبدال لفظة عادة بـ"أحيانًا"، أو بالمعنى الدارج "على مزاجه".

الساعة الآن تخطَّت الواحدة وخمس وخمسين دقيقة، ولم تظهر أية ملامح لقدوم القطار "تُرى ما الذي حدث؟ ولماذا تأخَّر؟ وهل سيأتي أم لا؟" هذا السؤال تدركه جليًّا في نظرات كل الواقفين على الرصيف.

يمضي الوقت سريعًا ولا ينتظر كما ننتظر نحن ذلك القطار العجيب، فالساعة الآن تمام الثانية ولم يأتِ بعد، ولك أن تتخيل مشاهد أكثر ما فيها كوميديا سوداء، حيث ترى البعض يجري من رصيف لآخر وأنفاسه تكاد تصطدم بأنفاس أخرى تتسابق معه في ذلك الماراثون الذي يتجدَّد يوميًّا، وقد ينتهي بنصر أو هزيمة نكراء كالمعتاد، ولا يصعب عليك أن تعرف هذه النتيجة من خلال بضع كلمات، فعند النصر تسمع المقولة الشهيرة "الحمد لله سألحق القطار..."، وعند الهزيمة المعتادة تسمع صرخات بألفاظ خارجة أحيانًا، لم تعد تمثل إزعاجًا لدى من يسافر كل يوم على هذا الرصيف. وعندما تغير محور اتجاه رصد الكاميرا التي في عينيك ترى مشهدًا آخر يسمى بمشهد من

فيلم صامت، حيث تشاهد فيه نظرات الحيرة والقلق من مجهول قد يكون أسوأ ما فيه هو عدم قدومه، ومن ثمَّ انتظار مجهول آخر سيأتي في تمام الثالثة والنصف، هذا إن لم تملك نقودًا لتستقل أتوبيسًا أو ميكروباصًا، فهكذا يتم قتل الأوقات في بلادي، وليس عليك أن تسأل.. فالرد الجاهز "يا بيه هذا هو العادي"، هذا تعليق أحدهم على هذا المشهد المكرر يوميًّا.

تحرك كاميرا العيون عدستها الآن صوب مشهد تجلس فيه بعض السيدات على رصيف المحطة بعد أن تعبن من كثرة الوقوف ويئسن من الجلوس على المقاعد التي تكون مكتظَّة دائمًا بلحوم البشر المتلاصقة . وما يثير استغرابك أنك ترى هؤلاء السيدات مبتسمات دائمًا، وتسمع قهقهاتهن على بعض النكات التي يطلقنها في مثل هذه المواقف، ناهيك عن أحاديثهن التي لا تنتهي عن أخبار الناس وأحوالهم الشخصية، هذا يعني أنك في دقيقة واحدة ترى مشاهد متناقضة تمامًا، بعضها يوحي بالاهتمام بالحدث ومن ثمَّ تجد نظرات الوجوم والعبوس والحيرة، والبعض الآخر يوحي بعدم الاكتراث والرضا بالأمر الواقع وقبوله، إلا أن الجميع متفقون في الغاية، وهي انتظار المجهول حتى وصوله.

تظل تلك المشاهد على حالها إلى أن تُسمع صفارات الإنذار من قبل أحد القطارات القادمة أو الراحلة، فسرعان ما يركض المسافرون ويتسابقون على بلوغ فوهة الباب الذي يكاد يكون مغلقًا تمامًا بأجساد البشر، فيضطر الراكب للالتصاق بها حيث تقوم بدورها بجذبه ودفعه إلى الداخل بحركة أنيقة، يجيدها من تعوَّد على السفر بالقطارات، ولكن لا بأس في هذه اللحظات الحرجة أن ترى مشهدًا دراميًّا يتكرر يوميًّا تقريبًا، إذ تشاهد شخصًا فشل ولم تسعفه قدماه حتى يلحق بإحدى عربات القطار الخلفية، فتراه مطروحًا على الأرض

بعد أن دفعته أيادٍ حديدية ضخمة لا تعرف عطفًا ولا رحمة، ويكون المشهد أكثر سوادًا عندما تغرز قدم أحدهم بين الرصيف وبين إحدى عربات القطار، ويكون مصيره هو أن يعيش بقية حياته بعاهة مستديمة لا يُحاسب عنها سوى قدميه اللتان أخطأتا الركض وخسرت بدورها السباق مع من لا يسبقه أحد دائمًا، إنه القطار الإكسبريس سريع المحطات.

في وسط هذه الأحداث المتلاطمة سُمعت صرخات هزت الجميع وجذبت انتباههم نحوها، فهرول الجميع ليروا ما حدث لعله المشهد المتكرر يوميًّا، ربما قطعت ساق أو أصيبت ذراع أو كسرت إحدى فقرات العمود الفقري لهذا الرجل، هكذا خمَّن كل من ركض نحو الصوت، وأخيرًا وصلنا إلى بؤرة الحدث، لنشاهد ذلك العجوز المسكين الذي تتعالى صيحاته بلا مجيب أو منقذ سوى الركل والصفع على جميع أجزاء جسده الضعيف.

يا الله! من لهذا العجوز الذي لاحول له ولا قوة؟! أليس هناك من ينقذه؟ أو يدفع عنه الأذى؟ دعتني شهامتي للزود عنه، إلا أن جبني أبى كعادته في هذه المواقف، فرجعت القهقرى بعدما كنت أحاول التقدم نحوه عدة مرات، فانتظرت مصير هذا المسكين كباقي البشر حولي، وكأننا نشاهد عرضًا مسرحيًّا ننتظر حتى يغلق الستار على تلك النهاية بإنقاذه من قبل أحد الشجعان، والذي لا يُفترض أنه أحد المشاهدين مطلقًا، هكذا استمر المشهد في العرض ولا أحد يعرف ما الداعي لتمثيله في هذا الوقت بالذات تحت حرارة الشمس الحارقة، والتي لم تمنع المتفرجين من حضوره.

لم يخلُ المشهد من بعض المخرجين الذين فسروا لنا ما حدث، حيث أنهم كانوا في مقدمة الصفوف ورأوا ما حدث من بدايته، حيث كنت أنا وغيري كثيرون نشاهد من بعيد ولا نرى سوى أجساد

متلاصقة، ونسمع صيحات هذا العجوز، وأصوات اللكمات التي تنهال عليه من كل اتجاه، فسر لنا أحدهم المشهد قائلًا: "تحرَّش ذلك العجوز بإحدى الفتيات لفظيًّا وجسديًّا، فما كان منها إلا أن صرخت بأعلى صوتها حتى ينقذها أحد الشباب، فحضر لها شابان قويًّا البنيان قاموا بإنقاذها وركل الرجل وضربه، وتولَّت هي أيضًا مهمة الصفع على وجهه، ولم ينقذ ذلك المسكين سوى صفارات القطار التي بشَّرت المسافرين بقدوم المجهول، وهو قطار الإكسبريس، والذي أتى في تمام الثانية والنصف، ليكمل رحلته إلى المنصورة، فهرب الأشقياء وتركوه وعباءته يكسوها اللون الأحمر، حيث سالت الدماء من كل أجزاء جسده، وكانت هذه نهاية المشهد".

مشهد بارع نفذه أشقياء وأخرجه المشاهدون ببراعة، لكني لا أدري لماذا لم أصدقهم، وانتظرت حتى ينصرف الجميع لأعرف ما حدث بالضبط على لسان هذا العجوز.

تقدمت نحو الرجل لأتفحَّص ملامحه، وبدأت أقترب منه شيئًا فشيئًا، وقد رحل الجميع ليلحقوا بالقطار قبل أن يغادر المحطة، لم يبدُ وجهه غريبًا عليَّ، يبدو أني رأيته قبل ذلك، بدأت أفرك في ذاكرتي لعلي أجد له مكانًا فيها، وبالفعل تذكرته توًّا، إنه أحد أقاربي الذي تبرأ منه أولاده، أعرف ذلك الرجل جيدًا، إنه متزوج من أربع نساء، وترك زوجته الأولى تُربِّي أبناءها وتنفق عليهم بمفردها، ترك أمًّا لأربعة أولاد تربِّي وتبحث عن رزق أطفالها وتواجه أعباء الحياة وحدها، دون أدنى مسئولية منه، وطالما طالبته بتحمل مسئوليته كأب وإلا فيطلقها، ولكنه لم يجبها وتركها كالمعلقة، ومضى لاهثًا نحو شهواته، يستبدل النساء واحدة بأخرى كأنما يستبدل حذاء في قدميه.

في الحقيقة تأثَّرت بحالته ودفعتني نفسي لإنقاذه والذهاب به لإسعاف المحطة، إلا أن ما فعله مع زوجته وأبنائه منعني من الشفقة عليه، وتجرأت أكثر وقمت بصفعه قائلًا "أنت تستحق هذا وأكثر، من

يفعل ما فعلت بزوجتك وأولادك لا يستحق الرحمة أبدًا"، ثم ركضت مسرعًا لألحق القطار قبل أن يغادر في آخر لحظة!

آه.. نسيت أن أخبركم! هذا الرجل العجوز هو أبي، ولن ألومكم أبدًا إذا شردتم بخيالكم بعيدًا وجزمتم بأني من أرسل هذه الفتاة ومعها الشابين ليضربا أبي ويسرقا ما معه من نقود.. لا تتعجبوا ولا تحملوا لي حقدًا أو ضغينة، لا تلوموني فهذا حقي وحق إخوتي وأمي المسكينة.

ليلة الـ2 جنيه

بينما كنت جالسًا أتناول وجبة العشاء في أحد المطاعم الشعبية التي لا أدخلها إلا نادرًا، جذبت انتباهي نظرات ذلك النادل الذي لم يرفع عينيه من على الطاولة التي أتناول عليها العشاء.

فى بدء الأمر أبديت شيئًا من الريبة؛ لأني أعلم تلك الوجوه الكئيبة دائمًا يصدر عنها تصرفات عجيبة، خاصة إذا كانت جوعى أو بها أذى من الوجوه الغريبة، أمثال وجهي الوسيم، وهيئتي الموقَّرة - إحم.. لا أحب التحدث عن نفسي، هكذا يصفونني دائمًا "قليل الكلام،كثير الأفعال".

المهم.. أجبت نظرات ذلك النادل بنظرات توحي بأن "تفضل معي بتناول العشاء إذا كنت جوعان"، ولكنه أجابني بنظرات حادَّة وصارمة توحي برفض العرض، وكأنه يقول لي: "انتهِ فورًا وخلصنا يا عم، وراءنا زبائن آخرين".. فهمت ذلك جليًّا من نظراته الحادة المهمة التي لا يفهمها غير الحاذقين أمثالي.

أكلت على غير العادة وأنا في قمة السعادة، إذ أن إحساس القلق يا سادة يعطيك مجالًا للتفكير في مصيرك القادم، نعم.. لا أدري إن كان هذا النادل يعرفني حقًّا ويحاول أن يذكِّرني بحادث ارتكبته معه، فأنا أعلم أن حوادثي كثيرة، وحكاياتي مريرة، ولكن واضح أنه لا

يعرفني.. فأنا سألته قبل أن يحضر لي الطعام: "هل تعرفني؟" فأجابني بأنها أول مرة يراني فيها، وإن كنت لا أصدقه، فهذا لا يعنيني، المهم أني سآكل يعني سآكل، ولا تعنيني الطريقة.

لا زالت نظراته تزداد حدتها أكثر فأكثر، وتقذفني بالرعب، وتدق على قلبي طبول الحرب، والخطوة القادمة لا محالة هي الضرب، يا الله! ماذا سيفعل بي الآن؟

إنه يتقدَّم تجاهي.. هل يقصدني؟ لا أكيد هو يقصد الزبون الذي خلفي، ولكني نظرت إلى ورائي فلم أجد أحدًا، إذًا أنا الهدف! وجسدي النحيل في لحظتها ارتجف، ماذا سأفعل الآن؟ ليس أعقل الآن من قرار الهرب، نعم سأهرب، ولكن إلى أين؟ والعين في العين، والمكان كله مترين في مترين، تضاربت الأفكار في رأسي، ولم أستطع التركيز في فكرة، فكانت المحصلة هي الفشل في اتخاذ القرار كعادتي دائمًا، فجلست قهرًا على نصف قدم أنتظر المفاجأة.

تقدم نحوي قائلًا: "أتأمر بشيء يا ابن...".

لم يكملها.. فقلت له: "لا، شكرًا، سأنتهي الآن"، فأجابني: "بالسم الهاري إن شاء الله تطفحه". أجبته: "اللهم تقبَّل منك صالح الدعاء، ولك بالمثل".. لا أدري كيف نطقتها، المهم أنه تركني وذهب إلى المطبخ، أخيرًا تنفست الصعداء! ما هذا اليوم؟!

بعد هدوء حذر استرجعت نظراته لي وكلماته.. فتذكرت أنه قال لي: "أتأمرني بشيء تاني يا أفندم؟ بالهناء والشفاء".

ولكن لا أدري كيف سمعته بالعكس، فعلًا الخوف أسوأ شيء في الحياة.

الآن أتناول طعامي بمنتهى الراحة والهدوء، ما أحلاه من شعور، إحساس الطمأنينة رائع، ولكن كما أقول أنا دائمًا: "لحظات الخوف تقتل سنوات الأمن بخنجر مسموم".

عاد أخينا مرة أخرى، ولكن ليس أمامي هذه المرة، إنه يقف بجانبي، ما أصابني الذعر مرة أخرى، فأكلت على عجل، ونظرت إليه في وجل، فأجابني بنظرات لا تدعو للجدل أن "ادفع الحساب وعليه البقشيش، ادفع حتى أضمن لك أن تعيش".

وكلنا يعلم كم أن حياتنا غالية، ولا تقيمها تلك النقود البالية، بالطبع ضربت يدي في جيبي وأعطيته كل ما أملك، وإن طلب ما لا أملك كنت سأعطيه، فالعمر ليس "بعزقة" يا حضرات، وزمن الفتوات قد انتهى وفات.

أعطيته النقود ولم أطلب الفاتورة، ولم أعلم أنها كانت أكثر أو أقل من قيمتها، ولكن النادل عدهم أمامي وبدت عليه نظرات الفرح والسرور، وحاولت أن أخبره بعيني أن "أعطني باقي الحساب إذا كان هناك باقٍ"، فقاطعني بتلك النظرة الحادة التي كاد قلبي منها ينخلع، أومأ برأسه ولسان حاله يقول: "اخرج من هنا يا حيوان".

بالطبع خرجت و"قفايا يقمر عيش"، ولكن لا أدري كيف كانت ابتسامتي عريضة على وجهي، ولم يفارقني الضحك من ذلك الموقف، وفي وسط هستيريا الضحكات التي انتبه لها جميع المارة، وكلهم ينظر لي باستغراب، بدأت موجات من العبوس ترتطم بوجهي شيئًا فشيئًا.. فقد تذكرت أني ذاهب إلى البيت الآن، وكالعادة ستستقبلني زوجتي "مرجانة" بجميع أحذية ومراكيب البيت إذا لم تجد في جيبي جنيهًا واحدًا، أعرفها جيدًا.. لن تسامحني أو تتعاطف معي إذا أخبرتها بما حدث لي في ذلك المطعم الكئيب، وكيف سأخبرها أني تعشيت بالخارج

هربًا من وجبة العدس التي تقدمها لي يوميًّا على العشاء، يا الله! ماذا سأفعل الآن؟ هل أذهب إلى صديقي "عبد الستار" لأقترض منه بعض النقود؟ ولكن منزله بعيد، وإن ذهبت سأجده نائمًا.. فهو ينام دائمًا بعد العشاء.

ماذا سأفعل؟ ماذا سيحدث لي؟

لم تستطع قدماي أن تحملاني، فجلست تحت شجرة بالطريق أفكر في الأمر باهتمام ، وأتضرَّع إلى المؤمن السلام بالدعاء: "يا إلهي دبِّرني.. فمن غيرك أدعوه، أنقذني من صراخها وضرباتها التي لا زالت تؤثر في جسمي، يا رب ابعث لي بمدد من عندك، يا رب ساعدني.. فليس لي إله غيرك أدعوه، حاشا وكلا، أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء".

وبينما أنا منهمك في دعائي متضرع إلى الله، إذا بشخص ملابسه بالية قادم نحوي، ظننته ملكًا أرسله رب السماء، ولكن هل سيأتي ملك بهذه الصورة غير السارة؟! إذن فهو شخص فقير سيساعدني، ولكن كيف سيساعدني الفقير؟ وتذكرت المثل الذي يقول "يوضع سره في أضعف خلقه"، كما يقولون أيضا إن الفقراء هم أغنى الناس ولديهم عمارات وأموال طائلة بالبنوك ولكنهم لا يظهرون ذلك، ويكنزون تحت البلاط الذهب والياقوت والمرجان ومغارة علي بابا، هكذا مات كثير منهم واكتشف الناس الأمر بعد ذلك، ليكن ما يكون، المهم أنه سيساعدني وخلاص.

توقف الرجل أمامي ونظر إليَّ ثم انحنى ومدَّ يديه لي قائلًا: "أعطني نصف ما في جيبك، وسيرزقك الله بما لا يخطر في بالك".

نظرت إليه باندهاش، ثم نظرت خلفي لعله يحدث أحدًا غيري، فلم أجد أحدًا، فعرفت أنه يقصدني، فقلت في نفسي: "لم يفلح دعائي، ويبدو أنِي نحس.. والدعاء أجيب بالعكس"!

رددت عليه قائلًا: "اذهب يا عم الله يسهلَك، فليس معي نقود، وإن شئت عطفت عليَّ وأعطيتني جنيهًا تنقذ به حياتي".

ردَّ عليَّ الرجل ساخرًا: "رجل طويل عريض ولا تملك جنيهًا واحدًا، إخِّيه ع الرجالة الورق،قم وفتش في محفظتك يمكن تلاقي جنيه كدا ولا كدا مستخبِّي جوا المحفظة".

استغربت من رد الرجل عليَّ، ولم أدرِ كيف استجبت لطلبه وفتحت المحفظة وفتشت فيها بغير اهتمام، فكانت المفاجأة.. وجدت أربعة جنيهات، من أين أتوا؟ الله أعلم، ولم يمهلني الرجل حتى أخرجها، فخطف المحفظة قائلًا: "أنت لسَّا هتمسك فيهم.. هات.. أنا 2 جنيه وأنت 2 جنيه، هذه قسمة عدل، وخذ محفظتك أهيه، إحنا ناس بنعامل ربنا"!

رددت عليه: "جازاك الله خيرًا، وأكثر من أمثالك، شحات عندك ضمير صحيح".

بالطبع لم يرد عليَّ، فقد ركض بعيدًا عني ولاذ بالفرار، ولم يمهلني حتى شكره على معروفه الذي قدمه لي، فقد أنقذ وجهي من لكمات زوجتي اللعينة.

هممت مسرعًا وكلي أمل في الحياة، فقد بعثني الجنيهان من جديد، وتركا في نفسي أثرًا للطمأنينة، وكأني أصبحت أغنى رجل بالعالم، بل أغنى من كل ملوك الأرض، فأي غنى هذا سيجلب لك الإحساس بالأمان وعدم الخوف ولو لليلة واحدة،أما غدًا ففي علم الله، ومن رزقنا اليوم سيرزقنا غدًا، هو بنفسه تكفل بهذا، وضمنه لنا ما دمنا

أحياء،سواء آمنَّا به أو لم نؤمن، أى إله في الدنيا غير الله يفعل هذا؟ تؤدي شكره لغيره فيعطيك، وإذا مرضت فهو يشفيك، وإذا عدت إليه يلاقيك، ويرحمك ويتوب عليك، كم أحبك يا الله.

طرقت باب منزلنا وقلبي تملؤه السكينة والطمأنينة، وعدم الخوف من ضربات زوجتي اللعينة.

فتحت زوجتي الباب، ووجدتها على غير عادتها بثياب نظيفة، بل متعطرة بعطر لم أشمه في حياتي قبل ذلك! في بدء الأمر اندهشت وظننت أني دخلت بيتًا آخر،أو أني فتحت باب الجنة، وهذه زوجتي بعد أن هيأها لي الله، ولم تمهلني مرجانة فرصة التفكير في الأمر، حتى بادرتني بكلمات لم أعهد سماعها، قالت لي: "حمدًا لله على سلامتك يا أبو محمد، نورت البيت يا حبيبي، اتفضل ريَّح ع بال ما أحضر لك العشا، أنا عشيت الولاد ونيمتهم من بدري، أنت بس اتأخرت شوية النهارده ربنا يعينك ما أنت بتتعب عشان خاطرنا يا حبيبي، ربنا يخليك لينا يا رب".. ثم بادرتني بقبلة حارة لم أتوقعها، ولكني شعرت بلذتها في الحال، وكاد ما بي يطير، وأحسست أن الأمر به شيء خطير، فهي لم تقم باستقبالي بهذه الطريقة منذ سنوات، لا لا.. أنا قلبى غير مطمئن.. يبدو أني لا زلت أحلم.

جلست على طاولة الطعام، أنتظر الأكل في اهتمام، وكأني لم أتعشَّ منذ قليل، بيني وبينكم القُبلة جعلت عصافير بطني تغرد.

أحضرت "مرجانة" الطعام على السفرة، وكانت المفاجأة التي لم تصدقها عيني حتى لمستها بيدي، إنه محشي ورق العنب اللذيذ وشوربة الملوخية الرائعة والحمام بالفريك الشهي، يا له من عشاء لا يقاوم، سأملأ بطني وأنا غير نادم.

بالفعل التهمت الطعام التهامًا، وكانت تنظر لي مرجانة وكادت أن تموت من الضحك قائلة: "بالراحة يا راجل الأكل مش هيطير، ورانا حاجات تانية لسَّا"!

قلت لها: "حاجات تانية زي إيه"؟

أجابتني بنظرات مثيرة وإشارات خبيثة: "تعالى غرفة النوم وسأخبرك".

فهمت ماذا تريد، وعلى الفور تركت الحمام يطير، وطرت أنا في أحضان مرجانة، قضيت معها أجمل ليلة في عمري ، وتمتعت بها كما لم أتمتع بامرأة في حياتي، ولا تنتظروا مني أن أشرح لكم التفاصيل فأنا رجل حيي خجول عف اللسان، وأسرار المضاجع يجب أن تبقى في مضاجعها.. تُفعل ولا تُحكى.

كانت ليلة رائعة بكل المعاني، وفى وصفها أُلِّفت الأغاني، ونامت عيوننا في أحضان بعضنا البعض، وعرفت معنى السعادة الحقيقية في تلك الليلة الدافئة.

استيقظت قبيل السابعة على صوتها الرقيق قائلة: "استيقظ يا أبو محمد وانهض من فراشك يا حبيبي فقد أعددت لك الفطور، قم لتتناوله معي قبل أن تذهب إلى عملك، وأنا سأذهب لأودع الأولاد قبل أن يذهبوا إلى مدارسهم".

استيقظت وكلي نشاط وهمة.. ووصلت نشوتي إلى القمة، وتمنيت أن الأمس لم يمضِ، ولكن ما حيلتنا في تلك الأرض التي تدور مع نفسها ولا تبالي بأمانينا.

فردت ذراعي اليمنى واليسرى معًا وكأني أتمطَّع، فاصطدم ظهر يدي بشيء يبدو من ملمسه الناعم أنه ورق، تحركت قليلًا بجنبي

الأيمن، وتناولته فإذا به ظرفًا مفتوحًا، قلت في نفسي معقولة به نقود؟! لا أصدق عيني.. سأفتحه الآن حتى أتأكد، مددت يدي بداخله فأخرجت ورقة، ثم نظرت بداخله لعلي أجد شيئًا آخر، ولكن باءت محاولتي بالفشل، إنه لا يحتوي على نقود، مجرد ورقة، ولكن ما المكتوب فيها؟ لا تنظر إليها.. وألقها فهي ليست مهمة، هكذا أخبرني شيطاني اللعين، وكدت أن ألقيها لولا صوت آخر يناديني: "افتحه وحال تقرأها لن تخسر شيئًا".

وبالفعل بدأت أقرأ السطور، ولكن أين السطور؟ لا أرى شيئا، فعيناى لا زالتا غير مفتوحتين، دعكت جفني حتى أرى بوضوح، ويا ليتني ما دعكته، فالمكتوب سطر واحد "البقاء لله.. لقد تُوفي عمك إبراهيم بالبرازيل".

قرأت العبارات وأصابني الحزن الشديد، ولم أهتم بقراءة غلاف الجواب لمعرفة من المرسل، إنه عمي الوحيد الذي تبقى لي من عائلة أبي، يا الله! صرت الآن وحيدًا في تلك العائلة، وكأني مقطوع من شجرة كما يقولون، بدأت الدموع تهطل كالمطر، وكأني لم أرَ سعادة قط، وكأن ليلة الأمس لم تكن، وكما أقولها دومًا لنفسي "لا فرح يدوم، فالحزن سيعرف القدوم".

اسودت الدنيا في وجهي، وصارت كل الخيوط مبهمة، لا أعرف كيف أفكها، لا أدري هل سأنتهي مثل عمي ويبقى أولادي بلا أحد يرعاهم أو عائلة تؤيهم، فمهما كان لي من أصدقاء لن يكون أرحم بهم من أقربائي وأفراد عائلتي، ذهب عمي كما ذهب أبي وأمي وعمي وعماتي وأبناء عمومتي أثناء عودتهم من حفل زفاف بنت عمي على أحد أبناء البندر، حيث انقلب بهم القطار جميعًا، ولا أدري من حسن حظي أو من سوئه أني يومها لم أذهب معهم، حيث كان يوم زفاف بنت عمي موافقًا لآخر أيام امتحاني في الصف الثالث الثانوي، ولم أكمل

تعليمي بسبب ما حدث لي من مضاعفات نفسية إثر هذا الحادث الأليم الذي لا أنساه، ولولا عطف صديق أبي عليَّ، وتزويجه ابنته لي، ما كنت لأستمر في هذه الحياة، وهممت أكثر من مرة بالانتحار لولا إنقاذه لي من نزوات نفسي.

زوجتي وأبنائي هم أهلي وعزوتي الآن، ولكن من سيكفلهم بعدي، مرت هذه اللحظات على صدري بضيق شديد، وألم مرير، كاد أن يقضي على أنفاسي، لولا ابتسامة زوجتي التي قامت باحتضاني ومسح دموعي وكأنها ملاك الرحمة والبر الذي لم أره من قبل، وكنت أظنه شيطانًا لا يعرف غير الإيذاء والشر، احتضنتني بجسدها الدافئ الذي نقل لجسدي حرارته، وتحملت هي شحناتي السالبة، وأعطتني شحناتها الموجبة، وحدث ارتعاش خفيف كبرق في أجسادنا.

نظرت إلي بكل حنان وقالت لي: "البقاء لله وحده يا حبيبي، لا تبكِ فنحن أهلك وعزوتك.. وأنا حبيبتك.. أمك.. أختك.. كل عائلتك أنا".

اغرورقت عيناي بالدموع، ولم أجد جوابًا غير الحضن المعتاد في كل أفلام السينما المصرية، الذي لا تجد له أسبابًا في كثير من الأحيان.

بعد أن هدأت نفسي، بدأت زوجتى تزيح صدرها عن صدري، وبدأت في الابتعاد شيئًا فشيئًا، وأمسكت بيدي فقبلتهما ثم تركتهما وحيدين يتساءلان عن موعد القبلة القادمة.

قالت: "لا تحزن يا زوجي العزيز على فراق عمك.. فأنت لم تره منذ سنين، حتى أنا لم أره في حفل زفافنا آتيًا لهنئنا، فقط اكتفى بهدية الخاتم الألماس الذي بعناه لنشتري لنا بيتنا هذا، بعد أن أزالت الحكومة بيتنا القديم، ولكن عليك أن تنسى كل هذا وتتذكر أن عمك كان يملك ثروة طائلة ومشاريع كثيرة بالبرازيل، وعليك أن تبحث عن

ميراثك وميراثي، أقصد ميراث أبنائنا، فالحي أبقى من الميت يا أبو محمد، أليس كذلك؟"

نظرت إليها وبدأ وجهي تكسوه ابتسامة رفيعة، ورددت قائلًا: "بلى، يا زوجتي العزيزة، سأذهب بعد عملي إلى المركز لأرى ما هي الإجراءات اللازمة للحصول على أموالنا، أقصد ميراثنا في أملاك عمي، ولكن ميراثنا إيه، إنها أموالنا.. فأنا وريثه الوحيد، نعم.. كل عماراته وأطيانه وشركاته التي طالما حدثنا عنها عبر خطاباته، كل هذا سيكون لنا.. افرحي يا زوجتي العزيزة، طاقة القدر فتحت لنا كل أبوابها، وسنكون أغنياء، وسنودع هذا البيت، ونشتري قصرًا أمامه حديقة غنَّاء مليئة بثمار المانجو والعنب والتفاح، إني ذاهب الآن إلى عملي بالوحدة المحلية وسأخبرك بما سأفعله.. الله يرحمك يا عمي، ويفشفش البلاطة اللي تحت دماغك.. بلاطة إيه؟! تلاقيها باكيتة بن برازيلى محوج، سلام يا زوجتى العزيزة".

نادت عليَّ زوجتي: انتظر يا مجنون، ستخرج إلى عملك هكذا؟

قلت: ماذا بي؟ أريد أن أعرف!

قالت: ستذهب إلى العمل بملابسك الداخلية وبدون السروال كمان؟ ولم تغسل وجهك أيضًا".

ثم ضحكت ضحكة خبيثة وقالت: "وكمان لم تغتسل يا رجل، أنت نسيت ليلة امبارح ولا إيه؟"

ضحكت كثيرا وقلت لها: "وهل هذه ليلة تُنسى، هيا نكملها الآن".

وهممت بتقبيلها، ولكنها قاومت وقالت: "اعقل يا مجنون، ستتأخر عن عملك، سنكملها الليلة.. اذهب واغتسل الآن".

تركتها قائلًا : "آآآخ، يا مين يصبرني بس إلى الليل؟!"

أنا في طريقي الآن إلى عملي حيث أذهب راكبا رجلي الأنيقة، التي لا تطلب مني بترولًا ولا زينًا، دائمًا تتحمل أجرة وصولي إلى المكتب مجانًا، فعملي يبعد عن البيت حوالي ثلاثمائة متر.

إحساس بداخلى لا أستطيع وصفه،سعادة غامرة وفرح لا ينتهي، وتذكرت حادثة الأمس مع ذلك النادل الذي أصابني بالذعر ، وبعده ذلك الشحاذ الذي نشل مني الجنيهين، وأخذت أضحك على نفسي وكيف رضيت بقسمته في نقودي، ولكني تذكرت دعوته وتبشيره لي بأن الله سيرزقني بما لا يخطر ببالي، بالفعل قضيت ليلة مع زوجتي لم أقضها منذ سنين، وتُوفي عمي وترك لِي الملايين.

وبينما كانت موجات الفرح تتراقص في صدري، وثبت عليها تلك الأيدي التي لا أعرف من أين أتت ،فلما تحسستها وجدتها يدي شحاذ ليلة أمس.. سألته "ماذا تريد، اغرب عن وجهي في هذه الساعة".

قال: "أعطني مما أعطاك الله، أنا جوعان أريد أن أفطر".

قلت: "ألم أعطك جنيهين بالأمس، بل سرقتهما مني، هات نقودي يا لص".

وحاولت أن أمسك به، إلا أنه لاذ بالفرار كالعادة، وعكر صفو سعادتي.

انتهيت من عملي ثم ذهبت إلى المركز لأسألهم عن الإجراءات، فأخبروني أنه من الأفضل الذهاب إلى أحد المحامين وسيخبرني بالإجراءات اللازمة حتى أستحوذ على تركة عمي.

أنا الآن في طريقي إلى المنزل.. باقي بضع خطوات فقط تفصلني عن ليلة حمراء اخرى مع مرجانة.

آه! يا لها من شقية! أكيد تلبس الآن لبس السهرة الذي لم أره غير أمس.. كان رائعًا ومثيرًا بحق.

وماذا عن العشاء؟ أكيد سيكون شهيًّا مثل أمس.. يا هل ترى أعدت لنا ماذا؟! مممم، أكيد محشي وحمام أيضًا.

لا زلت أفكر في الأمر وأحشائي تتراقص، وقلبي يرفرف يريد أن يفرد له جناحين فأطير بهما إلى قلب محبوبتي "مرجانة".

ولكن يبدو أن رحلة الطيران قد توقفت فجأة إثر حادث وثب غير متوقَّع، قام به الشحاذ على جسدي، حيث قام بتفتيش جيوبي بعدما لكمني وطرحني أرضًا كمصارع أمريكي محترف، وبالفعل استولى على المحفظة ومد يديه وأخذ الجنيهين، ثم ألقاها في وجهي قائلًا: "اشبع بها يا روح أمك".

بالطبع حاولت أن أرد الشتيمة فقلت له: "خذ يا ابن الكلب ...".

ولما فشلت في ملاحقته لجأت إلى سبه كحيلة يفعلها دائمًا المهزوم في أي معركة، فما بالك بمعركة مع لص محترف يجيد رياضة المصارعة والركض كالخيول، ولن أخبركم بما قلته لاحقًا، فكما تعرفونني عف اللسان لا أحب أن أذكر هذه الأمور.

رجعت إلى بيتي ولسان حالي يقول: "ماذا سأفعل الآن إذا سألتني مرجانة عن مصروف الغد، فقد نسيت أن تسألني عنه اليوم لانشغالها بتطييب خاطري وتسليتي عما ألمَّ بي حزن إثر علمي بوفاة عمي، والمصيبة الأعظم أننا لا زلنا في منتصف الشهر، فإذا هربت اليوم سيتبقى أربعة عشر يومًا على الأقل سأقضيها في إحدى مستشفيات بلدنا على أثر ضرباتها التي لا تخطئ جسدي أبدًا، ولكن ما المشكلة إذا سألت؟! فسأخبرها أني أعطيتهم لأحد المحامين حتى يجري

لنا إجراءات الحصول على تركة عمي، ولكن هل ستنطلي عليها تلك الكذبة؟"

سمعت صوتًا بداخلي يقول: ولم لا! أكيد بريق الفلوس القادمة سيسحرها وستصبر.

رددت على هذا الصوت بالقبول قائلًا : "معك حق، فأنا غدًا سأكون من الأغنياء، ولن أحتاج حتى إلى وظيفتي، مش تقول لي 2 جنيه! الآن سأطرق الباب وليكن ما يكون".

طرقت الباب كثيرًا ، ولم يجبني أحد، لدرجة أني شككت أنى أطرق بابًا غير باب بيتي، رجعت إلى الخلف ونظرت إلى ملامح البيت فوجدتها نفس ملامح البيت الذي تكسر فيه عظامي كل يوم.. أقصد تداعبني فيه زوجتي الحنون!

إذن فلماذا لم تجبني مرجانة؟ أحدث لها مكروه؟ أم أنها خرجت لتشتري شيئًا، ولكنها لا تخرج من البيت أبدًا، وتقوم بإرسال أولادنا ليحضروا لها ما تريد من طلبات البيت، إذن ما الأمر؟ أذهبت لتزور أباها وأمها؟ أباها وأمها من؟ إنهما توفيا، تبًا لأفكاري الغبية، ماذا سأفعل الآن؟! هل أكسر الباب؟ ولكن من سيصلحه؟ فأنا لا أعمل نجارًا ولا أعرف في تصليح الأبواب، كما أني الآن مفلس ولن أستطيع أن أحضر نجارًا ليصلح الباب، إذن سأحاول طرق الباب مرة أخرى وأنادي عليها أو على أحد الأولاد، وما إن هممت بطرق الباب حتى وجدته فتح فجأة وكدت أن أقع على الأرض، لولا أني رشيق فلحقت نفسي بسرعة، ولكن من الذي فتح الباب؟

إنها امرأة غريبة، أو بالأحرى وجه غريب، إنها ليست مرجانة التي ودعتني بالصباح، فالوجه عابث والعينان مليئتان بالشر، ونظراتها حادة كالشرار، كأنما تريد أن تفعل بي ما تفعله كل يوم، سلمت لها

نفسي وقلت يبدو أنها علمت بما فعله الشحاذ، فنحن في زمن السرعة، ربما التقطتني إحدى كاميرات قناة الجزيرة أو برنامج الكاميرا الخفية، لا أستبعد ذلك.. فنحن في زمن العجائب.

دخلت إلى البيت بعد أن أذنت لي مرجانة بأدبها المعتاد: "ادخل يا خويا، شوفلك أي حتة اتلقَّح فيها، ومش عايزة اسمعلك صوت.. وشوف المصيبة اللي عندنا".

مصيبة؟ أي مصيبة يا مرجانة؟

لم ترد مرجانة، ولكنها أشارت إلى تلك المرأة الحسناء الممشوقة القوام وهي جالسة على الأريكة ومعها ابنها الرضيع، ففهمت الأمر وقلت لنفسي: "يا الله! إنها زوجتي الثانية جاءت لتشي بخبر زواجنا عند مرجانة، أو أتت لتتقاسم معنا الميراث، ولكن متى علمت؟ هل جاءها نفس الخطاب الذي أتى إلى مرجانة، فأنا لي عنوانين فعلًا، ولكن ألم تنتظر حتى أخبرها أنا، وهل ستغفر لي مرجانة ما فعلته مقابل الميراث؟ لا أعتقد، إنها ستأخذ كل الميراث وتطردني أنا وزوجتي الثانية وأولادي في الشارع، إنها شرَّانية وأنا أعرفها.

ولكن.. متى تزوجت تلك المرأة الجميلة ذات الشعر الذهبي؟ ومتى أنجبت منها ذلك الطفل الوسيم؟ آه.. أكيد أثقلت في شرب الخمرة وقضيت معها ليلة حمراء وجاء الأفندي ابننا، ليس هناك فائدة فيَّ، أحمق دائمًا.. أرتكب كل الجرائم وأنا لست في وعيي، أتذكر مرة قتلت معلمي الذي كان يضربني دائمًا في الصف وعوقبت بالتهذيب في الأحداث، ولكن هذا كان حلمًا.. أقصد كابوسًا، ما هذه الافلام التي أسردها بداخلي؟

هل هذه زوجتي أم لا؟ وماالذي يثبت أنها زوجتي وهذا ابننا؟ لا بد أن أرفع عليها قضية نسب وأتهرب من مسئوليتي عن هذا الحادث،

فقد كنت فاقد الوعي، نعم سأخبر القاضي بذلك، ولكن إذا هربت من القاضي من سينقذني من مرجانة، إن يديها باطشة جبارة.

لا زلت أتساءل بداخلى وقلقًا من مصيري القادم، وأضع احتمالات الرد حتى أخرج بأقل الخسائر، سأحاول إقناع مرجانة بالأمر، نعم سأفعل.. سأخبرها، ولكنها أكيد عرفت.. فبماذا سأخبرها؟ نعم سأبرر لها ما حدث.. وأنه كان خارجًا عن إرادتي.

ولكن هل ستقتنع؟ يا الله! ماذا أفعل في هاتين المصيبتين؟ بل الثلاث.. الزوجتان والابن الجديد؟

في وسط تلك التساؤلات التي لم تنتهِ إلا عندما قالت لي مرجانة بصوت مخنوق: "ألا تسلم على زوجة عمك؟"

قلت لها: "أعيدي عليَّ مرة أخرى زوجة من؟"

قالت: "زوجة عمك يا خويا".

نظرت إلى تلك المرأة وقلبي يطير فرحًا، قائلًا في نفسي: "الحمد لله، أشكركِ فقد أنقذتِ حياتي من أيدي مرجانة".

وكدت أذهب نحوها فأحضنها وأقبلها، لولا أن قاطعتني مرجانة قائلة: "لقد جاءت تسأل عن ميراثها وميراث ابنها في تركة عمك هنا.. إذ أنها تدَّعي أن عمك أخبرها بأن له أراضٍ وعزب وأطيان في مصر".

كما أخبرتني بأن عمك قد تُوفي منذ شهر، ولكن الخطاب جاء إلينا متأخرًا، والعجيب يا خويا بتتكلم عربي بطريقة جيدة، يبدو أن عمك علمها كل شيء".

نظرت إليها مندهشًا وقلت لها: "هذا يعني أنه ليس لنا نصيب في تركة عمي، فهو الآن ملكها وملك ابنها، وكل الذي بنيناه ذهب مع الريح؟"

أومأت مرجانة برأسها موحية بـ"نعم، كله ذهب مع الريح".

وهنا نظرت إليهما بوجه شاحب، ثم ارتميت على الكرسي، وأخذت أفكر في الأمر، إن عمي لم يخبرنا بأنه تزوج، ولكن هذا منذ عام، وبعدها انقطعت به الاتصالات تمامًا حتى أتانا هذا الخطاب، ربما تزوج تلك المرأة في هذه الفترة، ولكن متى أنجب ذلك الرضيع؟ وكيف أنجبه وقد تخطى سنه الثمانين؟! ربما أتت به تلك المرأة من رجل آخر، فهي تبدو صغيرة في العشرينات، لا أدري ما الحقيقة، وكيف سأثبت أنها ليست زوجته وهذا ليس ابنهما؟ وأخذت أتساءل: كيف عرفت عنواننا بهذه الدقة؟ ربما أرسلها أحد النصابين. وهذا النصاب يعمل في مصلحة البريد.. وربما قرأ ما في الخطاب وعلم بالأمر فأراد أن يحتال علينا بهذه الحيلة، لا لا.. أنا أشاهد أفلامًا أجنبية كثيرة.. ولم أعهد نصابًا يعمل في مصلحة البريد.. فمهنتهم سمتها الشرف والأمانة.

إذن ماذا في الأمر؟

أخذت أفكر كثيرًا، وراجعت حادثة الأمس مع النادل، ودعائي وتضرعي لله بأن يساعدني وينقذني، ثم أرسل لي ذلك الشحاذ الذي قاسمني نقودي، فذهبت إلى بيتي ووجدت زوجتي راضية عني ووهبتني ليلة دافئة لا أنساها في حياتي، ولكني فهمت لماذا وهبتني إياها تلك اللعينة، أكيد وضعت عينيها على تركة عمي، فأرادت أن ترضيني وتحفزني للبحث عن تلك الثروة، لعينة لا تعطيني شيئًا إلا بثمن، حتى لو كان من حقي!

وتذكرت أيضا فرحي وخيلائي عندما علمت بأني سأكون من أغنياء القوم، ونسيت الفقراء فحاولت ضرب الشحاذ بالصباح فبادرني في المساء وسرق الجنيهين، هذا يعني أني بجنيهين أعطيتهما للشحاذ صرت

أسعد الناس ولو لليلة واحدة، وبجنيهين آخرين منعتهما عن الشحاذ صرت أتعس الناس عمري كله!

وهنا حضرتني تلك الآيات الكريمات:

"فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَن، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَن، كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيم، وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِين، وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا"

الشارد

يعبر الطريق ببطء شديد.. ينظر إلى شيء بعيد.. تمر السيارات من أمامه.. وبعضهم يتوقف حتى يمر.. والكثيرون يطلقون صوت التنبيه.. عله ينتبه.. ولكن ليس من مجيب.. حتى لو تجرَّأ أحدهم بالسب ينظر إليه ويجيبه بالصمت الرهيب، ثم يمضي في الطريق. أخيرًا وصل إلى الجهة الأخرى من الشارع، ولا زالت نظراته الشاردة هي سيد الموقف.. ترى فيما يفكر؟ هذا لسان حال كل من يقابله، حتى إن بعضهم ناداه قائلًا "يا مجنون"، وكأنه لا ينظر ولا يهتم.. كأنه أصم.

قابلته طفلة صغيرة جذبته من ردائه قائلة: لو سمحت يا عم هات... فنظر إليها بالتفات وكأن زلزالًا حدث.. لكنه لم يتكلم.. فقط مرر يده على شعرها وقبل رأسها ثم انطلق.. يبدو أنه أحس بالقلق وكأن شيئا فيه اختنق.. مضى وبعد قليل توقف عند ذلك التمثال "نهضة مصر".. فصاح بأعلى الصوت: "حريـــة".. صاح بها مرة واحدة ثم ركض.. وكأنه رأى أسدًا.. أو ربما كلبًا عوى فهرب.. وجلس عندما أحس بأن الطريق بات خاليًا، فالوقت قرب الفجر حاليا.. ويبدو أنه أحس بالتعب فنام في نفس المكان.

واستيقظ بعد ساعات عندما سمع تلك الكلمات: "قم يا بني من هنا.. وعد إلى الطريق".. أزاح التراب من فوق رأسه.. ثم بدأ يعبر الطريق من جديد .. ببطء شديد.. وينظر إلى الحرية من بعيد.

ذكريات لا تموت

تتعالى ضحكاته المعتادة الممزوجة بصراخ متكرر، وبكاء هستيري لاينقطع، لاينتظر مرور السيارات أبدًا وكأنه في حلقة سباق، يقود السيارة بسرعة جنونية ولا يكاد يمسك بالفرامل إلا عندما يصطدم بمطَب أو إشارة مرورية أشعلت ضوءها الأحمر إنذارًا بالوقوف، تُرى لماذا يضحك؟! وما الذي يُبكيه بعد لحظات قليلة؟! هو نفسه لايدري، ولكنه لا يزال في طريقه إلى نفس المكان الذي لا يعرفه إلا عندما يفيق من سكرته.

يمر الراكبون بجواره وينظرون إليه متعجبين من تصرفاته..

فتح أحدهم النافذة وقال له: يا مجنون هدِّئ السرعة، الإشارة أمامك حمراء، فتقدم بسيارته واتجه يمينًا نحو الهدف فاصطدم به باصقًا في وجه السائق، ثم عاد إلى مساره وأسرع في الهرب أو النجاة، كلاهما لايعنيان عنده شيئًا، المهم أنه انتقم من ذلك اللعين - على حد زعمه.

الإشارة الآن صفراء وصاحبنا لا يزال يقود سيارته بأقصى سرعة، يحاول أن يسبق الإشارة متجاوزًا كل القوانين، أية قوانين لا تمثل له قيمة.. فهو لا يكترث! ربما اعتاد أن يتجاوز قوانين هذا الكوكب، ولا يعرف للحق مذهبًا، اعتاد أن يأخذ ولا يعطي، يصفه أقرانه بالمستهتر،

وهو يرد عليهم دائما: لست مستهترًا، ولكني أفهم الحياة بطريقتي لا بطريقتكم.

لا تزال في رأسه ملايين الذكريات، إنه يتذكر الآن صديقه وتوأم روحه الذي لم يفارقه يوما، وتذكر مصرعه العنيف حينما كان راكبًا خلفه واصطدمت دراجته النارية بإحدى سيارات النقل الكبرى، ونجا وحده مصابًا بجروح طفيفة، بينما تُوفي صديقه إثر جروح بالغة.

لا يزال يتذكر زوجته التي تركت له البيت ومعها ابنته ولم تعد، ولا يزالون يخبرونه بأنها عائدة، فهي الآن في رحلة عمل إلى إحدى دول الخليج، ولكن مرت على الرحلة أكثر من عام ولم تأتِ، إنه لايصدق أحدًا، كره الجميع حتى والديه وإخوته، كره الدنيا بأسرها، الجميع عنده خائنون أو أغبياء لا يفهمونه أبدًا.. "لا بأس بالوحدة إذا كان الاجتماع بهم سيقلل من مستوى فكري وينال من كرامتي".. هذا هو حديث نفسه دائمًا عندما يتذكرهم مجددًا.

الإشارة الحمراء على وشك أن تضيء، ولا تزال الذكريات تتوقد في رأسه أكثر، وسرعة قيادته يزيد جنونها أكثر فأكثر، إنه يقترب الآن من خط الإشارة، لا تزال سرعته فائقة، ولم تزعجه لقطات الكاميرا التي أحدثت وميضًا وسجلت عليه المخالفة، الإشارة احمرت وبدأ المشاة في المرور آمنين، وهو يقترب بنفس السرعة، لم تزعجه سوى تلك الصرخة التي أسمعت كل من في الحي، بل أسمعت كل ميت وحي، أخيرًا أوقف السيارة أو توقفت رغمًا عنه، إذ اصطدمت بالرصيف، لم يعبأ بالدماء التي كست وجهه وملابسه، وراح يركض تجاه الصرخة.

يا إلـهي!

إنها طفلة لم تتجاوز الخمس سنوات، لم تر نور الحياة بعد، ما ذنبها أن تُحرم من بقية عمرها؟! ما الذي فعلته حتى يكون هذا

مصيرها؟! وما ذنب أبويها اللذين سيحرمان منها العمر كله؟ وماذا سيفعلون بي الآن؟ هل سأعاقب بالإعدام؟ لا.. لن يعاقبوني.. فأنا لم أقصد!

ولكن ماذا حدث لهذه المسكينة؟ هل لا تزال على قيد الحياة؟ أم أن الحياة لفظتها إلى العالم الآخر كما لفظت صديقي؟ ماذا أفعل؟ يا لخيبتي! يا لغبائي! يا لشقائي! أعجزت أن آخذها إلى أقرب مستشفى؟ نعم سآخذها الآن.. ربما أنقذوها أو توسلوا إلى الحياة لتعطيها عمرًا جديدًا وتعطيني طوق النجاة من العالم الآخر! ولكن لماذا لم ينقذوا صديقي؟ لماذا لم تستجب لهم الحياة وتمهله ولو عامًا واحدًا، بل شهرًا، أسبوعًا، بل ساعة واحدة؟ لماذا ألقت به إلى الآخرة؟! أهي الأقدار التي يتحدثون عنها دائمًا عندما يعجزون عن إنقاذ البشر، أم أن إمكانياتهم لا تستطيع؟! ولماذا تذهب إلى المستشفى ثم تموت هناك؟ لماذا نرحل دائمًا إليهم عندما نعلم أن حمام الموت قد أصاب؟! لماذا تأتي سيارات الإسعاف بعد فوات الأوان؟ أليس من الأفضل أن تسمى سيارات الموت!

يبدو أنها سُنة البشر أني سأذهب بكِ إلى طريق الشك بين موت وحياة، تمامًا مثل الطريق الذي أمضي فيه، وإن تركتك سيأتي غيري ويأخذكِ إلى هناك، ولكن إذا نجوتُ من عقوبة الدنيا.. فمن سيُنجيني يوم الحساب؟!

قام بحملها وأسرع بها إلى سيارته وطار بها إلى نفس المستشفى الذي يكاد يعرف جميع أركانه وأماكن غرف العمليات الخاصة به وصالات الانتظار...

أوقف سيارته أمام مبنى العناية المُركزة، قام بحمل الطفلة بين أحضانه ونادى على الحارس: لو سمحت.. ساعدنى كي أدخلها إلى الطبيب.

نظر إليه الحارس مندهشًا، ولم يجبه ببنت شفة.

تعجب الرجل من تصرفه وبادره غاضبًا: لماذا تنظر إليَّ هكذا؟! أتعرفني؟!

أومأ الحارس بإشارة تعني: أجل!

الرجل: إذن افتح لي الباب وساعدني.

الحارس ناظرًا إلى الأرض وكأنه يريد أن يقول: لا أستطيع!

الرجل: لماذا لاتجيبني، أليس عندك نخوة أو مروءة؟ ألا ترى الدماء التي تسيل من الطفلة؟ أليس هنا طبيب؟ أجبني.. أليست هذه مستشفى؟ أجب عليَّ أيها الوغد، أليس عندك عطف ولا شفقة؟

ومع تعالي صيحاته سُمِع صوت من بعيد يبدو أنه صوت طبيب.. نادى على الرجل قائلًا: أسرع يا محسن! واترك لي الطفلة سأقوم بإسعافها حالًا، أخبرني ماذا حدث؟!

رد عليه محسن: تفضَّل يا دكتور أنقذها، إنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، مسكينة لا ذنب لها، أنا الذي صدمتها بسيارتي، يا لغبائي المزمن! دائمًا أقود بسرعة جنونية ولا أكترث!

الطبيب: ولكن أين أهلها؟ وأين ارتكبت الحادث؟

محسن: لا أدري، لقد قمت مسرعًا بحملها وأتيت بها إلى هنا، من فضلك يا دكتور قم باللازم وأنقذ حياتها من أجلها ومن أجل أبويها اللذين لا ذنب لهما، أنا المسئول.

الطبيب: متأكِّد يا محسن أنك المسئول؟

محسن: أجل يا دكتور، أنا الذي قطعت عليها حياتها كما قطعت راحة أبويها، كان الله في عونهما، أظنهما الآن يبحثان عنها، وقلباهما طائرين من القلق عليها، ولكني سأعيدها إليهما إذا شفاها الله على يديك.

الطبيب: أتعرف أَبَويها؟

محسن: لا يا سيدي، ولكني سأبحث عنهما وأعيدها إليهما.

الطبيب: وماذا لو كنت تعرف أَبَويها جيدًا؟

محسن: أعرف أبويها؟ كيف ذلك؟ ثم أنت تناديني باسمى وكأنك تعرفني! وملامحك ليست غريبة عليَّ، لم أنتبه لذلك مطلقًا، هل بيننا سابق معرفة؟!

نظر الطبيب إلى خارج الغرفة وكأنما يرحِّب بضيف أتى، وقال: تفضلي يا مدام مرحبًا بكِ.

استدار محسن إلى الخلف في حركة أنيقة يحاول أن يعرف من تلك السيدة، وبدت على نظراته الوجوم والتعجب.

نظرت المرأة إليه وقالت: أهلًا بك يا دكتور.. كيف حالك يا محسن؟ ألا تعرفني؟!

محسن: ما الذى أتى بكِ إلى هنا؟ قد أبلغكِ الطبيب أليس كذلك؟

ردت عليه المرأة: بلى، هو الذي أخبرني وأتيت لأطمئن عليك.

نظر محسن إليها بوجه شاحب مضطرب، وبدا مهتزًّا بعض الشيء، وأجاب بصوت خافت وكأن الكلمات واقفة في حلقه لا تريد أن تخرج:

"ولكنهم أخبروني بسفرك إلى إحدى دول الخليج! متى أتيتِ؟ وأين "فريدة" ابنتنا؟"!

نظرت إليه الزوجة وفي عينيها قطرات من الدموع تأبى إلا أن تنهمر كالمطر: لا يا زوجي العزيز.. أنا لم أسافر، أنا هنا مع ابنتك في المستشفى منذ عام، منذ أن صدمتها بسيارتك بينما كنت ذاهبًا إلى عملك مسرعا كعادتك، إنها هنا في المراحل الأخيرة من العلاج الطبيعي، وما هي إلا أسابيع قليلة وتخرج على قدميها سليمة كما كانت بإذن الله، اطمئن يا حبيبي.. إننا بخير، فقط عد إلى رشدك ودعنا نطمئن عليك.

نظر محسن إليها وقد بدأت أنامله ترتعش، وبدا على وجهه الاضطراب الشديد، ونظر إلى الطبيب وقال: "ولكن أين الطفلة التي صدمتها وأتيت إليك بها يا دكتور؟ هل ماتت؟ أخبرني.. فأنا لا أراها على السرير.. أين ذهبتم بها؟"

الطبيب: اطمئن يا سيدي.. إنها بخير، ومع أبويها الآن، فقط اجلس واسترح مع زوجتك.

محسن: الحمد لله أنها بخير ولا تزال على قيد الحياة، عقبال بنتنا فريدة يا رب.. يطمئننا عليها وتقوم بالسلامة إن شاء الله.

الزوجة والطبيب في رد واحد: يا رب ويطمئننا عليك أيضًا.

نظر محسن إليهما: تطمئنوا عليَّ أيضا؟ ولكن ما بي؟ أنا سليم وليس بي شيء، أليس كذلك يا دكتور؟ ألست بخير يا دعاء؟

الطبيب: بلى يا سيدي! أنت بخير، أستأذنكم.. عندى حالة خطيرة الآن، مضطر للذهاب.

نظر إليه محسن مندهشًا وكأنما لا يصدق كلماته ويريد أن يستوقفه بنظراته المتسائلة، إلا أن زوجته قطعت نظراته وقالت للطبيب: "معك الله يا دكتور، تفضل".

ثم استدارت بعينيها تجاه عينيه كأنما توحي إليهما بكلمات لايفهمها غيره، عرف ما تقصد وما تريد أن تخبره، فأجابها بنظرات الحزن موحيا لها أنه لم يقصد إحراجها، وهذا خارج عن إرادته، فلا تزال الذكريات في رأسه لاتموت، والحادثة ترن في أذنيه وتأبى السكوت..

فإنها لاتعمى الأبصار

رآها فرصة لن تأتي إلا مرة واحدة فيما تبقى من عمره القصير جدًّا، ورأته حلمًا لا يؤجل وإن كانت ستضحي بالكثير من أجل تحقيقه!

كانت تحلم بشاب قوي تأمنه على نفسها ويحرس لها ثروتها ككلب وفي أو أي مسمى آخر، المهم أن يعيد بعضًا مما فقدته في شبابها، وينسيها آلامها وحزنها على كلبها، أقصد زوجها السابق.

هدفه كان أن يصبح غنيًّا بأي طريقة، وأن يبحث عن أحضان المال الذي سيعانق أسرته ويفتح لهم بابًا من السعادة طالما تمنوا أن يمسحوا بأيديهم عليه، وها هو الآن مفتوح على مصراعيه ينتظر الدخول!

قالت له ذات ليلة: "هل تحبني حقًّا؟"

نظر إليها وابتلع لسانه، وحاول الهرب من طلقات غضبها، ثم اكتفى بالنظرات محاولًا لملمة العضلات التي انفكَّت، والأوصال التي ارتعدت، فانتصب كحجر وابتلع ريقه قبل أن يقول: "لو لم أكن أحبك ما كنت بين أحضانك في هذه الليلة الحمراء!"

تثاءبت قليلا وانحنت لتغلق الباب وهمست إليه: "ولكن من فينا يمتلك فؤادك؟ هي، أم أنا؟!"

اضطرب فؤاده، وركض نبضه بلا توقف، وتصبب العرق من جبينه مستسلمًا لضغط وغليان اغتصبا جسده، ولم ينجيه من تلك

الشدة سوى شيطان فكره، فاهتدى إلى الصمت قليلًا، ثم نظر إليها مبتسمًا وقال: "يا من أحببتكِ بغير ميعاد.. أنتِ من تملكين الفؤاد".

ردت بامتعاض كمشككة: "ما الذي يثبت لي؟" فقال كواثق: "دعِي الأيام تجيب".

مضت الأيام وهي جالسة أمام المرآة متحسرة، عيونها ذابلة والسواد ممتطٍ جفنيها واثقًا،

لقد زار المشيب مفرق رأسها، فعاقبت جميع الرأس بدعوى سكوتهم عليه وسماحهم له بالتسلل.

لذا طمست شعرها بصبغات، لم ترضَ عن فعلتها، فأبت إلا أن تنزف سريعًا وتطلق سراح المشيب ليتوغل أكثر وأكثر..

شعرت بلمسات يديه المعتادة على شعرها حين يأتي، فأمسكت بيديه محاولة نشر فوضى حواسها، واحتضنت ذراعيه بفكِيها وانطلقت تقبلهما ثم قالت له مُداعبة "أصبحت عجوزا أليس كذلك!"

يعلم بالطبع أنها كعادة كل النساء تحب أن تسمع الأكاذيب عنها وتصدقها، فقال مصطنعًا دهشة: "عجوز؟! لا أنتِ لا زلتِ بنتًا في سن العشرين، وقد قيَّدوا سنَّكِ خطأ منذ أربعين عامًا في دفتر المواليد"!

ضحكت وقالت برشاقة "إذن ما رأيك في السفر غدًا إلى الإسكندرية كي نستمتع ببحرها الجميل، ونستعيد الذكريات من جديد؟!"

رد مرحِّبًا: "أوافق، وهيا بنا نجهز حقائبنا الآن!"

ركبا طريق اسكندرية الصحراوي، وأهازيج العشق تغنَّى وتُلحَّن على أوتار قلبيهما، وأبحرت سفن الذكريات في بحر تلك الأيام الخوالي، وغاصا في بحر الدرر واللآلي، ورقصت الشعاب المرجانية على أنغام

"سهر الليالي"، تلك الأغنية التي اعتادا تشغيلها دائمًا في رحلة البحث عن المتعة!

تعالت الأمنيات وارتفعت الآهات ترديدًا للأغنية.. وفجأة أغلق التسجيل فمه مستجيبًا لضغط من صرخات خاوية تترنح، تُحاول تعديل الكلمات والألحان ولكن من دون فائدة، فقد انحرف الصوت وانحرف كل شيء، حتى عجلة القيادة زاغ بصرها شيئًا فشيئًا إلى أن أصابها العمى، فأضحى الظلام سيد المكان، وأعلن سيطرته على الموقف ورفع رايته السوداء!

بالطبع أحلامهم أصبحت رهن القدر، ومن منا لا يعرف جبروت القدر وقسوته تارة ورحمته تارة أخرى!

لقد رحمها فماتت، وعاقبه فترك له ساقين مبتورتين، ونصف ذراع أصيل!

كل الجروح كانت تستجيب لمظاهر الالتئام إلا جرح نظرات زوجته الأولى، أشعلت الثورة في جسده بالكامل فلم تخمد!

لقد حضرت لتقتله لا لتُهوّن عليه ما ألمّ به.

تساؤلاتها كانت طاغية، ولكنه قاومها بصوت مبحوح قائلًا:

"لا تنسي أنكِ كنتِ شريكتي، وقد اتفقنا أن ثروتها ستُقسَم بيني وبينِك، ولكني نقضت الاتفاق ففعل القدر ما لم أوفيه لك، وأجهز عليها وتركني لكي أرثها، وستمضي أيام وستكونين أنت وريثتي، أليس هذا عدلا؟!"

أيام قلائل مضت على وفاته، وأيام قلائل أيضا مضت على حفل زواج زوجته الأولى من رجل آخر!

أحلام منسية

أصابني الجوع فتألم بطني وطلب مائدة النجدة، كما آذرته رأسي فأصيبت بصداع لم يمكنني من الوقوف أكثر من ذلك في هذا المحل اللعين.

وقفت على نصف قدم ثم جلست قهرًا لأريح قدمي التي ثارت هي الأخرى مطالبة بحقها في قسط من الراحة.

كان الوقت قبل أذان المغرب بساعة، وشتان ما قبل وما بعد!

عالم إسلامي كبير، وحياة الصائمين فيه عبارة عن سكون رهيب في المعدة والأفكار وفي الاعمال وفي كل شئ عدا الكلام عن موعد الإفطار، ومتى سينفجر مدفع الإفطار، ومتى سيؤذن المغرب، كل هذا قبل!

أما بعد يتحول كل شيء إلى حركة دائبة، وصحون وأياد مخضبة بالطعام، وأحاديث عن المسلسلات والبرامج وضحكات من هنا وهناك ابتهاجًا وفرحًا ومسامرة.

كلها أفكار تراودني وأحلام تناوبت على رأسي أثناء غفوتي لدقائق!

لم يعكر صفو أحلامي بأنهار الماء وموائد اللحم والفاكهة سوى صوت لعين متبوع برائحة كريهة من فم أحد الزبائن.

-لو سمحت.. ما عندكش تايير مقاس البنت دي؟

وأشار إلى ابنته التي لا يتعدى عمرها 5 سنوات تقريبًا، وكان في يدها كيس صغير

فركت عيني وأبديت غيظي ، وقلت محدثًا نفسي: "يعني كل زمايلي في المحل واقفين وما لقاش غيري ابن ...، اللهم إني صائم".

أدرت له ظهري وأبديت انشغالي بترتيب الملابس داخل الرفوف، وعملت نفسي أطرش مثلما يقولون.

لم يسكت وقال مُصرًا: "يا أستاذ أنا باكلمك.. مش عندك تايير مقاس بنتي دي؟"

استدرت رغمًا عني مبديًا سخطي، وبدأت أتفحَّص ما يرتديه.. من بنطال يعلوه قميص خارج عن سيطرته ومتسلل إلى فخذه.

لم يكونا مكويين أو مُرتبين بشكل كاف..

قلبت في ملامحه من فوق إلى تحت، ثم بدأت أقرأ في صفحات وجهه التي بدت مطلية بطين الأرض والزرع.

انها ملامح ريفية عتيقة.

اممم.. ده شكله من الفلاحين وعاملي فيها من البندر، حتى مش عارف يحبكها كويس..

مية في المية هيتعبني ويطلع عين اللي خلفوني وهيقلبلي أم المحل ع الفاضي، وطبعًا في الآخر هيمشي من غير ما يشتري حاجة.

هكذا حدثتني أفكاري.

قلت له متثائبًا: ما عنديش تايير مقاسها، بس عندي تشكيلة بدل جديدة حلوة وعليها طلب، بص وراك كدا،هما المتعلقين دول شايفهم؟

أبدى عدم ترحيبه بنظرات قرأتها بحكم خبرتي بالبيع، ولكنه التفت إلى الخلف وتبعته ابنته، وبدأ يقلب في تشكيلة البدل.

سأل صغيرته عن أي البدل تعجبها، فأشارت إلى "بدلة جينز" من نوع مستورد فاخر.

على الفور قام بانتشالها من مكانها ورفعها لأعلى كأنما يتلمس خشونتها محاولًا البحث عن مميزاتها وعيوبها، وبدأ يضعها على جسد ابنته رغبة في أن يعرف هل تناسب مقاسها أم لا..

بعد طول تفحيص وتمحيص وتفعيص وضعها أمامي، وقال متحفظًا: "ماشي شوفلنا بدلة نفس النوع تيجي على مقاسها، البدلة دي كبيرة عليها شوية".

نظرت إليه بخبث وقلت له: "طيب هاخش المخزن أَدوَّرلَك على واحدة مقاسها، استناني دقيقتين وراجعلك.

في الحقيقة لم تكونا دقيقتين، لقد كانت عشر دقائق كاملة، أرخيت فيها أعصابي وداعبت من جديد أحلامي، ورجوت المغرب ليعجل بالمجيء.

كنت أعلم أن البدل هي فقط المعروضة بالمحل، والمخزن للملابس الداخلية فقط.. كانت مجرد حيلة حاولت إخفاءها بمشية سريعة نحو باب المخزن إيهامًا للزبون بأني كنت مهتمًّا بالأمر، وبذلت أقصى جهدي.

فتحت الباب وانطلقت مسرعًا لأبحث عنه وعن ابنته، فلم أجدهما.

سألت عنه زملائي في المحل، فأنكروا رؤيتهم له، وقال أحدهم: ربما ملَّ من تأخرك كالعادة، فترك المحل وخرج.

تهلَّلت أساريري وأيقنت أن خطتي نجحت وطفشت الزبون كما يقولون..

عدت الى مكاني المفضل خلف طاولة العرض - والتي نسميها "البنك " - واضعا يدي على رأسي تخفيفًا لصداع الجوع القاتل.

لم يهدأ شيطان فكري كالعادة، وأخذت أزور موائد الطعام التي باتت محرمة إلى أن يأتي حلال المغرب.

في خضم أفكاري ناداني ضميري ملحًّا بإعادة البدلة الجينز إلى مكانها في العلَّاقة مرة أخرى.. "يا للكِ من لعينة / أهذا وقتك؟"

قمت مستجمعًا بعضًا من قوتي لأبحث عنها فوق "البنك"، ولكن للأسف لم أرَ خيطًا من أثرها.

فركت رأسي وحدقت بعيني مفتشًا في الملابس المبعثرة على البنك ولكن دون جدوى..

غيرت اتجاه بحثي عنها إلى أسفل البنك، ثم هرعت إلى حامل الملابس فقلبت في الشماعات وتحتها بلا أمل في وجودها، لقد اختفت.

صرخت في زملائي: المحل اتسرق يا بهايم، الراجل استغفلكم وسرق البدلة.

قال أحدهم في لوم: المحل كان مليان زباين، والزبون كان واقف قدامك، أنت المسئول، اتصرف بقى، ما لناش فيه!

قلت في غيظ: ماشي يا نِطِل، هتصرف!

قفزت من على "تليتوار" المحل وركضت إلى الشارع باحثًا بلا شك عن جهة الهروب التي اشتركت معه في إتمام الجريمة!

الشارع له ثلاث فتحات، والفتحة في آخر الشارع جنوب تقود إلى شارع داخلي آخر، أما الثغرة في آخر الشارع شمال فتفضي إلى مساكن شعبية.

هل توغَّل في الشارع المجاور أم اندس داخل أحد تلك المساكن؟

تحيرت للحظات، وتشتت حدسي، وأيقنت أن هناك حلًّا آخر!

استبعدت هاتين الجهتين ولم يتبقَّ سوى تلك الفتحة الصغيرة جنوب شرق، والتي تتسلل متعرجة عبر قضبان السكة الحديد باتجاه رصيف محطة القطار.

أكيد هي جهة الهروب الملائمة، لأنه من القرى ولا بد أن يركب قطار الرابعة والنصف حتى يصل قبل المغرب بدقائق، هذا إن ركب إلى آخر محطة.

هرولت بالفعل تجاه الطريق المؤدي إلى المحطة، وتعثرت قدماي في حصيات كبيرة تنتشر حول القضبان فوقعت.

تداركت نفسي فلملمت جسدي بصعوبة، ثم تحركت بمقدار قفزة فوق القضبان.

أرسلت عيني بعيدًا إلى نهاية الطريق الداكن، فانطلقت تُحملق في كل ساكن ومتحرك

وأخيرًا عادت إليَّ بعمود يجاوره كشاف صغير!

إنه الرجل وابنته، اقتربا من رصيف المحطة وعليَّ أن أركض لحاقًا بهما.

كان الجوع قاتلًا، والأنفاس تركض لاهثة، والعرق يجري كالأنهار، أما الجسد فقد ارتفعت حرارته كجمرة من نار، وصار خروج الروح محض قرار.

تعب وألم وحلقٌ استعمرته مزارع الصبار، ولكن كل هذا يهون عندما تصل إلى الهدف في نهاية المشوار.

كان تركيزي كله على خطواتهما التي كانت تبتعد في بطء.

لم تتوقف قدماي عن رجاء بالتوقف حتى تستريح، ولكن "ليس الآن، ليس الآن"..

اقتربت المسافة وصرت على بعد مائة متر، كانت كافية لتلبية النداء..

لكن أين الصوت؟ إنه مكتوم والأنفاس مقطوعة.. والماء حرام.

الصبر هو الدواء، هو الطبيب إن شاء، هو الساحر الذي تهرنا فنونه، هو وحده القادر على التسلية.

وقفت قليلًا لأستجمع أنفاسي، ثم انحنيت واضعًا يدي على فخذي في محاولة لفض نزع الروح الذي كان ينخر في جسدي بلا رحمة!

بعد ثوان أو لحظات أو جزء من دقيقة لا أتذكر شعرت بقدرة نسبية على إكمال المسير صوبت نظري فوجدتهما ابتعدا مائة متر أخرى، فقفزت من مكاني فورًا، وركضت إلى أن أصبحت على بعد ثلاثة أمتار تقريبًا، فناديته بصوت يصارع أنفاسًا مضطربة:

- عم، يا عم، أنت نسيت محفظتك في المحل.

لم أكن لأبلغه مباشرة أنه سرق البدلة وعليه إرجاعها وإلا سأسلمه للشرطة، لو فعلت هذا لهرب مني ولن أستطيع اللحاق به بعد هذا الركض القاتل.. خبرة السنين في التعامل مع أمثاله علمتني الكثير والكثير...

التفت إليَّ مضطربًا، وفك يده اليمني من يد ابنته، وقال بصوت متحشرج: "محفظة إيه اللي أنت قصدك عليها يا بيه؟ أكيد محفظة حد غيري، أنا ما باشيلش محافظ!"

قلت له بعد أن ابتلعت ريقي: " طيب حضرتك أخدت بدلة من عندنا وشكلك نسيت تحاسبنا عليها؟"

المتهم بريء حتى تثبت إدانته، هذا مبدأ حقوقي أتعامل به في حياتي، لذا أنا لا أظلم أحدًا ولا أجور على حق أحد!

حدَّق إلى الكيس الذي في يد ابنته، ثم حدَّثني بنظرات زائغة: "أنا ما أخدتش بدل من عندكم، أنا سيبت المحل ومشيت لما لاقيتك اتأخرت، حتى اسأل بنتي أهيه، مش كدا يا أحلام؟!"

نظرت الطفلة إلى الأرض وأومأت برأسها في خوف وقالت: "آه.."

- شوفت.. أهي العيلة الصغيرة مش هتكدب، عن إذنك يا بيه عايز ألحق القطر هيفوتني.

قلت له مستدركًا: "استنى بس، لو سمحت ممكن تفتح الكيس، يمكن تلاقيك نسيت البدلة جواه، أصلنا دوَّرنا عليها ما لقيناهاش".

قال في ضيق مصطنع: "عجايب والله، إديله يا بنتي الكيسة يدور فيها، البيه مفكرنا حرامية".

أدركت أنها حيلة للهروب، فقلت له متلطفًا: "معلشي، دوَّر أنت عشان ما يصحِّش أدوَّر في حاجة مش بتاعتي".

نظر مُبديا استغرابه وقال: "طيب، ورِّيني يا بنتي الكيسة".

بدأ يقلب فيها وكنت أحدق بخبث فلمحت لون البدلة الأزرق، وانتظرت هروبًا متوقعًا كنت مستعدًّا له!

أمسك بالبدلة وبدت أصابعه مرتعشة والعرق يتصبب على وجهه..

- إيه اللي جاب البدلة دي هنا؟ مش إحنا كنا رجَّعناها يا أحلام يا بنتي؟ هي مش عجباكي صح؟

قالت بصوت ونظرات مكسورة تغوص في أرجاء التراب: "أيوة مش عاجباني".

ثم وجَّهَ نظره نحوي وقال بصوت مرتعش: "معلشي يا بيه، البت نسيت، وحطت البدلة في الكيسة، عيلة صغيرة بقى سامحها".

قلت غاضبًا: "عيلة صغيرة؟ يا حرامي أنت وبنتك، أنا مش هسيبك غير لما تترمي في التخشيبة النهارده".

أمسكت بقميصه وقبضت على عنقه، فأبدى مقاومته وقال مدافعًا: "حرام عليك يا بيه، والله أنا ما حرامي، عليَّ الحرام وأعدم عيالي أنا ما سرقتش حاجة، بحق الشهر الفضيل اللي إحنا فيه.. أتسخط قرد لو كنت بكدب".

قلت ساخرًا: "قالوا للحرامي احلف! يا أخي لما أنت عارف إنه شهر فضيل، ما بتحترمهوش وتحترم نفسك ليه؟ يلا انجر قدامي، لازم تاخد الواجب التمام من رجالة المحل قبل ما أَودِّيك ع القسم".

قال مستعطفًا: "والنبي يا بيه سيبني أروَّح لعيالي، والله حرَّمت مش هعملها تاني، سيبني عشان البنت الغلبانة دي، أمها ميتة وأنا بجري عليها وعلى إخواتها، كوم لحم يا بيه، كنت عايز أجيبلهم لبس العيد، وأفرحهم، وحياة ولادك يا بيه.. أنت مش عندك ولاد يا بيه؟!

كلماته لم تكن لتستعطفني أو تثير في نفسي شفقة أو رحمة.. كنت مصرًّا على جرِّه إلى المحل لأتناوب مع زملائي صفعه وركله وضرب جميع أرجاء جسده!

لولا نظرات ابنته...

لولا بكاؤها...

لولا استعطافها...

"سيب بابا يا عمو، بابا مش حرامي"!

نظرت إليها قائلًا: "هسيبه عشان خاطرك إنتي بس يا أحلام، مش إنتي اسمك أحلام؟!"

قالت ويديها على عينيها: "آه، اسمي أحلام يا عمو".

انحدرتُ بيدي بعيدًا عن قميصه..

ثم انحنيت لها وقلت في عطف: ماشي يا أحلام، قولي لبابا ما يعملش كدا تاني، ماشي؟

- حاضر يا عمو، ما تعملش كدا تاني يا بابا.

ابتسمت من براءتها وسألتها: إنتي كنتي عايزة البدلة صح؟ عاجباكي مش كدا؟

نظرت إلى أبيها وهزت كتفيها ثم خفضت رأسها باتجاه الأرض وأمسكت ببنطال أبيها..

قلت لها مبتسمًا بعد أن رفعت ظهري إلى أعلى: "يبقى عاجباكي، خلاص يا أحلام دي هدية مني ليكي، موافقة؟"

قالت بعينين متألقتين: "موافقة يا عمو".

أعطيتها الكيس بعد أن حشرتُ البدلة فيه، وتوجهت إلى أبيها بالحديث: "تعرف، لولا بنتك ولولا إننا في شهر كريم، والله ما كنت عتقتك، يلا خد بنتك وخليك راجل وأكَّلهم بالحلال!"

- والله ما عارف أقلَّك إيه يا بيه، ربنا يكرمك بحق جاه النبي، ربنا يكفيك شر النفس الأمارة بالسوء.

- ربنا يتوب عليك أنت واللي زيك.

- يا رب.

انصرفت مودعًا أحلام التي ظلت ترمقني وتشير بيديها مبتهجة، حتى اختفت بالقرب من باب المحطة الحديدي.

عدتُ مسرعا إلى المحل مجرجرًا قدميَّ ومقاومًا جوعًا كاد أن يفتك بأحشائي، لولا بقايا الصبر الجميل.

لم يتبقَّ على المغرب سوى عشر دقائق.

هانت ..

قابلني مدير المحل بعد أن عاد من المسجد..

وقال ساخرًا: "ها، جري منك زي اللي قبله مش كدا؟"

بالطبع أخبره أحد العصافير من زملائي، أعرفهم يكرهونني، ويقفون لي على غلطة.

قلت واثقًا: "لا المرة دي ما جريش".

- أُمَّال!

-لحقته عند محطة القطر.. وطلع راجل محترم جدًّا، كان ناسي يدفع الحساب واداهولي.

ثم أخرجت من جيبي خمسين جنيهًا لم أصدق أنها لا زالت بجيبي، فقد كنت أبحث عنها منذ ليلة أمس.

- اتفضَّل تمن البدلة أهوه.

- بس كدا في خمسة جنيه زيادة!

- ده البقشيش بتاعي يا ريس.

المُتمردة

تراءت له كوميض اشتدَّ نوره شيئًا فشيئًا، فداعب رأسه عابثًا بعد أن اختلس نظرة، وقال: "لا تصدقها، إنها ترسلك إلى باب جنتها كل مرة ولا تفتح".

زيَّنَت نفسها وارتدت فستانًا زاهيًا، ثم اقتربت منه وهمست في أذنيه قائلة: "لقد هيَّأت نفسي لك، ألا يجذبك عطري؟ ألا تؤثر فيك نظراتي؟ ألا يعجبك جسمي الأنيق؟!"

التفت ونظر إليها كعاشق، وقال: "بلى، ولكن أخاف أن تتمنَّعي عني مثل كل مرة!"

تألَّقت عيناها وأبدت ابتسامة مبهجة ثم وضعت رأسها على صدره، وقالت: "أنا ملكك يا حبيبي، ولكن لا تكن شقيًّا واعتبرني ابنتك!"

تبسَّم ثغره وفرَّق أصابعه على شعرها مداعبًا، ثم نظر إليها في سعادة، وقال: "أخيرًا وقعتِ بين يدي، يا لها من فرحة انتظرتها لساعات، لن أتركِكِ بعد الآن".

ضحكت وكشفت عن أسنانها البيضاء واحتضنته واحتضنها، وتمنيا أن ينشر الكون ثيابه عليهما ليغطيهما برحمته.

طفقا يشربان من رحيق الورق، ويتسابقان في حمد من خلق، على أن وسع لهما في الأفق، ولم يزعجهما سوى دقات القلق، حيث ضربت

بعزمها باب سعادتهما، وأفقدته صرخات الهاتف كامل توازنه، فهُرع إلى جسده كي يبحث عمَّن ينادي من خلف شاشته، فإذا به رقم غريب، توقف الرقم عن طرق أذن الهاتف فجأة مكتفيًا بإزعاجهما وقطع لحظات الوصال!

عاد مجرجرًا قدميه وعزم على إخبارها بما حدث، ولكن إلى أين ذهبت؟!

ناداها مستغيثًا: "أين أنتِ؟ إلى أين رحلتِ؟ ألم أقل لكِ ستلعبين برأسي مثل كل مرة! يا ليتني أتعلم!"

عصر مخه وفرك ناصيته ثم شدَّ برأسه مبديًا تحسُّره على ضياعها منه، بعد أن كانت رهن يديه!

أيقن أنه لا فائدة مما يفعل، ولا أمل في عودتها مجددًا، فلملم أوراقه ثم نثرها على المنضدة، واستجاب كمُتعَب لجرجرة السرير لظهره واستسلم للنوم!

وفي النوم تحدث أشياء كثيرة، فتفتح مدن الأحلام مطاعمها للجميع، وعلى كل جائع أن يدفع تذكرة فكره ثمنًا للطعام!

بالفعل دفع ثمن تذكرة الدخول باحثًا عنها ليجدها تضحك وتضحك كثيرًا بلا توقف!

أبدى غيظه وأبدت ابتسامتها الساحرة فسكت عنه الغضب!

قال لها متشوقًا: "أين ذهبت؟ ولماذا لم تنتظريني؟"

قالت ضاحكة: "أردت أن أتدلل عليك كبنات حواء، فيزداد جنونك أكثر وأكثر".

ابتلع لسانه وكظم غيظه، ثم أمسك برأسها وقال: "ولكن لن تفلتي مني هذه المرة يا شاطرة".

وعلى الفور كبَّل يديها بعد أن استسلمت له أخيرًا، فجرجرها أمامه وتركا المدينة على حين غفلة من أهلها.

دخل كهفه مجددًا وجرَّ قلمه بعنف، ثم شد ورقة بيضاء فحشر جسدها ودسه في مكان أنيق هيأه لترقد فيه!

أبدت مقاومتها وصرخت قائلة: "على مهلك، أتخاف أن أطير؟!"

فرد عليها مبديًا قلقه: "ولِمَ لا يا ابنة الخيال؟"

قالت مستعطفة: "أنا ابنتك أنت، أنا من أنجبني فكرك، أنا كلمتك الأنيقة، ألا تفتخر بذلك دائمًا عندما تُحدِّث قراءك؟!"

رد في خجل: "بلى! ولكن اعذريني يا كلمتي الجديدة، ليس لي خيار، فأنتِ دائمًا عنيدة وتعشقين الفرار!"

ليلة زفاف

بعيون يملؤها الخوف، وأعصاب مشدودة بعنف، جلست غادة أمام المرآة تتأمل مستقبل مفروش برمل الخيانة.

"والله أنا مظلومة، والله ما خنتكيش يا أميرة، والله ما لمسني، والله عملت كل ده عشان خاطرك"!

مستقبل آثاره تترسخ أمامها قهرًا في صورة لعيون منتصبة تلومها على ما ستفعله..

عيون تلوح دومًا في الأفق، وليس الأفق الكوني فحسب بل في آفاق الخيال أيضًا..

إنه جرح لا زالت آثاره عالقة بجلدها وعقلها بل بكل أرجاء جسدها .

حاولت نسيانها.. ولكن هل ينسى أحد روحًا سكنت فيه؟!

الكل ينتظرها لتخرج، والثوب الأبيض يتلألأ في سرور، وليس لها حجة أخرى سيقبلونها، لقد سئموا من طول فترة الخطوبة التي دامت لثلاث سنوات، وزوجها المسكين لم يعد يحتمل.. أي عقل سيقبل نزف مشاعره الذكورية حيال برودها ومماطلتها أكثر من هذا؟

لقد فاق الاحتمال الوصف، إنه لا زال شابًا وهذه أول فرحته، والتأخير يعني هروبها الأخير من حياته.

من في هذا الكون يشعر بهما الآن؟ !

الكل مشغول بالتهنئة والفرح والرقص على إيقاع الأغاني الصاخبة،حتى أمها يئست من كثرة الحزن على حالها وفاض بها الكيل، فاصطنعت مشاعر الفرحة أمام المعازيم، وجلبت بقايا ضحك قديم برعت في نثره على وجوههم، ولكن لا أحد يعلم ما تشعر به أيضًا سواها.

هل كان لا بد أن أوافقه؟ هل هي تضحية من أجلها أم خيانة لصداقتها؟ نعم إنها قالت لي: "اعتني به ولا تتركيه، وأخبريه سلامي وحبي له"، ولكن لم تقل تزوجيه، قد أعتني به وأطمئن عليه ولكن من دون زواج، هل كانت تقصد أن أتزوجه حقًّا؟ هل هي راضية عما سنفعله اليوم؟ أم إنها ستدعو عليَّ ليوم البعث؟

"والله أنا مظلومة، والله ما خنتكيش يا أميرة، والله ما لمسني، والله عملت كل ده عشان خاطرك"!

لا زالت الأسئلة تتلاطم كالأمواج في رأس غادة، وبحر الذكريات هائج ولن يوقف مدَّه سوى انحسار القمر بعد ساعات قليلة .

تسمع الآن صوت الطلقات التي تناثرت حولها في ميدان التحرير، والتي اختارت صدورًا ورؤوسًا أبت ألا تستسلم أو تنحني..

ومن بين الصدور كان صدر صديقتها أميرة!

حاولت غادة جاهدة أن تنقذ صديقتها من غدر الرصاص، ولكن طُمِسَت عيناه فاختار كتف غادة أيضًا.

وبعد عدة محاولات بائسة لمقاومة ما يحدث والتمسك بحق الحياة، استسلمتا أخيرًا لنداء الأرض.

أسندت غادة رأس أميرة على فخذيها قبل أن ينفجر الدم فائرًا كالبركان ويركض على كل ملابسها معلنًا ثورته!

أوصتها بالفرار وأن تتركها لمثواها الأخير، ولكن لم تتركها غادة حتى تسللت روحها إلى السماء، وعندئذ أتت سيارة الإسعاف التي تأتي فقط لتطمئن على خروج أرواح الضحايا !

ثلاثة أعوام مضت على الرحيل، ووقع الصدمة حي أصيل..

في خضم تلك الذكريات التي تصرخ في عقلها ولا تصمت أبدًا طرق والدها الباب فأذنت له بالدخول، ثم قام بتقبيل رأسها قائلا:

"يلا يا غادة يا بنتي، اتأخرتي، الثوار.. قصدي المعازيم بره مستنيينك، إنتي كل ده ولسا ما لبستيش الفستان؟"!

ردت عليه خافضة رأسها ببطء على صدرها :

- لسا يا بابا .

وضع يده على كتفها ثم نظر إليها بعطف وقال:

- أنا عارف إنك ما بتحبيش حد يساعدك في أي حاجة تخصك حتى أنا وماما، بس إنتي اتأخرتي أوي يا حبيبتي.. يلا سرعي شوية وما تحرمنيش من اللحظة التي يتمناها كل أب لبنته!

-حاضر يا بابا، ممكن بس تسيبني خمس دقايق؟!

نظر إليها وضرب كفًّا بكف وحرك شفتيه مبديًا امتعاضه وقال:

-على الله تعملها زي كل مرة !

ثم اتجه إلى الباب وأغلقه بعنف ..

لم يزعجها صوت الباب، ولا نهر أبيها المعتاد لها، بقدر ما أزعجها صوت النوم!

صوت النوم؟!

أي نوم سيتجرأ على زيارتها خصوصًا في هذا اليوم؟

في الحقيقة كان أشبه بإغماءة أو ربما حلم يقظة مؤقت.

لم تكن غادة غريبة أبدًا في مدينة الأحلام، بل كانت شبه مقيمة فيها منذ ثلاث سنوات، ربما جميع سكانها قد عرفوها ودائمًا يقابلونها بالتحايا والسلام، ولكن في هذا اليوم بالذات قابلها وجه أميرة!

أميرة !

إنها كانت بالفعل أميرة في مشيتها وفي أناقتها، حتى في حديثها لغادة:

-غادة ازيك.. وحشتيني أوي يا حبيبتي.. عاملة إيه طمنيني عليكي.

-إنتي كمان وحشاني.. بس أنا مش كويسة!

-ليه بس؟! مالك؟ ده أنا انبسطت لما شوفتك هنا، والمفروض ماحدِّش هنا بيشيل هم.

-أنا اتخطبت لـ"هاني".. والمفروض هنتجوز النهارده، وأنا كدة مش راعيت حق الصداقة، أنا بني آدمة قذرة وخاينة وأستاهل كل اللي تعمليه فيَّ !

نظرت إليها أميرة ضاحكة وقالت:

-يا بنتي هاني مين وحق صداقة مين، إنتي مش عارفة إنتي فين؟

-هكون فين يعني؟

-بجد مش عارفة؟ طب بصي حواليكي كدا!

نظرت غادة حولها باستغراب فلم تجد شيئًا، ثم عادت لتنظر إلى أميرة.

ولكن أين أميرة؟!

أخذت غادة تنادي عليها في كل مكان.. ولكن لا حياة لمن تنادي، وهل ستسمع من في القبور!

لم تكن غادة لتستريح ويهدأ لها بال لولا أن رأت أميرة وأدركت أنها في جنة الخلد عند قوم لم تعد تشغلهم دنيا ولا خلق يتناحرون ويظلم بعضهم بعضًا، إنهم مشغولون بالنعيم وخير مقيم.

قامت غادة نشيطة، وارتدت فستان الزفاف، وانتشرت السعادة على كل أرجاء جسدها، وتبسم ثغرها حين دق أبوها الباب في يأس، ولم يصدق عينيه عندما وجدها قد ارتدت فستانها، ونادى على الفور على أمها التي لم تتمالك نفسها من البكاء، وقالت:

"ربنا يسعدك يا بنتي، ربنا يعوض صبرك خير، يا رب فرحها زي ما فرحتنا بحق حبيبك النبي."

وهنا جاء دور "هاني" ليلف ذراعه حول وسط غادة التي لم تصدق أن "أميرة" كانت حاضرة، بل وقفا معًا وتبادلا الضحكات في وسط استغراب الجميع مما فعلته غادة، حيث تركت عريسها، وأخذت ترقص مع نفسها بجنون!

جعلتني مرشدًا

كان في يدي أن أتنازل عن حلمي مقابل حُبها، وليس الحب فحسب بل دفء المال أيضًا، كان هذا خيارًا متاحًا أمامي لأتخلص من فقري وأهرب من الوطن كذلك.

الآن بات هذا الخيار حلمًا بعد أن كان كابوسًا يومًا ما..

ما الحلم وما الكابوس؟

دعني أداعب فضولك صديقي القارئ، وأطلب منك أن تستدعي موهبتك في التمثيل، وأن تضع نفسك مكاني، فتخبرني بمن كنت ستضحي إذا خُيِّرت بين مال وجمال ووطن آخر غير وطنك أو أن تتنازل عن مبادئك التي تربيت عليها وأيضا ستخسر أهلك؟!

أرجو ألا تتعجل الإجابة ياصديقي وألا تقسو عليَّ إذا ضيعت الفرصة كما أضعتها فخسرت كل شيء!

البداية.. وما أدراك ما سحر البداية! لولاها لما عشنا وما صار للأمل بيتًا نقصده كلما ضاقت علينا مصائب الدهر تارة وأدار لنا الحظ ظهره تارة أخرى.

أي حظ كنت أنا فيه؟!

أنا شاب في سن الثالثة والعشرين، تخرجت في كلية العلوم بتقدير عام جيد جدًا مع مرتبة الشرف، وكان يحق لي أن أكون معيدًا، لولا

أني كنت أحظى بملف ناصع السواد في أمن الدولة، لن أخوض في أسباب ذلك، وهل كان لي حق فيما فعلت أم لا، ولكن تخيل أن أمنًا يقتحم الجامعة فيعتدي على طالبة زميلتك وأنت لم تستطع أن تفعل شيئًا سوى أن تطلب منهم أن يتركوها وأن يتقوا الله في بنات الناس فضلا عن طالبة علم كان كل ذنبها أنها منتقبة!

ولكني أعيد وأذكرك صديقي القارئ أنت لست مجبرًا على أن تتعاطف معي، فقط دع فضولك هو الذي يقرر!

ربما حرصي على ألا أطيل عليك وخوفًا على ملل سيقتلك بعد قليل، ودافع منك للندم على كل ما قرأت، سأذكرك بأن السب والشتيمة ما زالت حرامًا، وأنه ليس ذنبي أني كنت مجتهدًا في عملي، وكنت قد عرضت بعض اختراعاتي الصغيرة على مديرة معمل التحاليل، والتي أبدت إعجابها الشديد بها، وعرضت عليَّ أن أسافر معها إلى إحدى الدول التي تقدِّر العلم والعلماء، في مقابل أن أتزوجها وأن نعيش معًا في ذلك البلد الأجنبي.

امرأة في سن الأربعين لم تكن قد فقدت رونق جمالها، ولن أحدثك عن كل من رآها، وأصابته الصدمة عندما علم بسنها الحقيقي، فالكل يظن أنها لا زالت بنت العشرين،

كل هذا لم يكن ليُغريني، لولا أنها كانت صادقة في حبها لي، خاصة أن زوجها قبل أن يرحل إلى الدار الآخرة كان يحبني جدًّا، وكان يعتمد عليَّ، ويثق بي تمامًا، حتى قبل وفاته أوصاني بزوجته خيرًا، ولكن هل كانت وصيته تقتضي الزواج منها أيضًا؟!

صديقي القارئ.. كل هذا كان حشوًا من دون فائدة، لا سيما إذا علمت أنني قبلت ذلك فقط عندما عادت عيون أمن الدولة تترقبني وتقلب في دفاتري القديمة، بدعوى أنني أعمل في معمل تحاليل كان

صاحبه طبيبًا تابعًا للإخوان المسلمين، لم يكفهم موته في أحداث رابعة، بل هددوا باعتقال كل من يعمل بالمعمل إذا لم يتركوه!

بالطبع الفرصة لا تأتي إلا مرة واحدة، فاستغلَّتها تلك المرأة وأغلقت المعمل وسافرت إلى بلد آخر برفقة زميلي شريف.

أما أنا فلا زلت أتحسَّر على الفرصة في ظل التهديدات والمضايقات التي أتعرض لها، لأني فقط كنت أعمل مع أعداء الوطن.

لن أطلب منك صديقي القارئ أن تخبرني عن توجهاتك، ولا عن انتمائك السياسي، ولكن سأستدعي فضولك لتكمل أحداث القصة مكاني، خاصة إذا علمت أني الآن أعمل مرشدًا، ليس للإخوان المسلمين، وإنما عنهم !

نظرة أمل

لأن قامتها قصيرة فكانت قصتها قصيرة، ولكن أحلامها إذا كُتبت ستملأ مئات الصفحات، أمل كانت تعشق الفيلم الكارتوني "سنو وايت والأقزام السبعة"، ومضت تقلد الأقزام في حركاتهم وأصواتهم، ولم يخطر ببالها يوما بأنها ستكون جزءًا من عالمهم الصغير والقصير جدًّا! سئمت من إلقاء اللوم على والديها، فهي القصيرة الوحيدة بين أخواتها، إذن هذه هي إرادة الخالق، فلتصبر على البلاء، ولكن هل ستصبر على نظرات من خلقَهُم؟!

كانت تمر نظرات الناس إليها كلدغات الأفعى التي ترسل في جسدها السموم ولا تبالي، وطفقت الدموع تزورها كجليس يخفف عنها وحشة الليالي، ثم تتركها عند الفجر بعد أن تجف رويدًا رويدًا وتغطي جفونها وترحل.
ذات نهار أخذت تفكر مليًّا في طمس أعين الناس، ولكن كيف؟ وما الوسيلة؟ ولأنها لا زالت صغيرة وضعف جسدها لن يمكنها من أي حيلة، تركت الأمر للأيام ربما تصنع لها المعجزة.

مضت الأيام، وكانت كعادتها بخيلة، فلم تتصدق عليها سوى بسنتيمترات قليلة لم تغير من وصف قامتها شيئًا، وظلت نظرات الناس تُمزق جسدها بغير ألم، وكادت تقتل ثقتها بنفسها بسكين ثلم.

دخلت المرحلة الثانوية، ولم تصدق عينيها حين رأت من هن أقصر منها قليلًا، فحمدت الله أنها ليست الوحيدة في مدرستها الجديدة.

قررت التعرف عليهن، وتلاقت الهموم والأهداف، فقررن أن يكوِّنَّ فريق "التحدي" لكرة القدم، وينافسن في جميع البطولات المحلية والعالمية.

لم يصدق أحد أن هذا الفريق سينجح، ولكن إرادتهن صدَّقت وتحدَّت الجميع، ونِلْن المراكز الأولى في البطولات المحلية، بيد أن أحلامهن لم تتوقف عند هذا الحد، فقررن المشاركة في بطولة العالم للأقزام، وبالفعل حصدن المركز الأول والميدالية الذهبية كأول إنجاز تحققه مصر في هذه البطولة!

بالطبع خبر كهذا لن يمر بعيدًا عن وسائل الإعلام، فتصدرت صورهن عناوين الأخبار في الصحف والمجلات، وتم استضافتهن في أشهرالقنوات المحلية والعالمية احتفالًا بنصرهن.

وبسؤال البطلة أمل عن شعورها اليوم، وكل الناس تتحدث عنها وعن زميلاتها كبطلات حققن ما لم يحققه الأصحاء.

قالت: "إني أشعر بالفخر والاعتزاز، وأشكر زميلاتي على مجهودهن العظيم، كما أخص بالشكر نظرات أولئك الذين راهنوا على فشلي وعجزي عن تحقيق أي إنجاز، إني مدينة لهم، فقد منحوني إرادة من فولاذ".

درس خصوصي

لما انتهيت من أشغالي الشاقَّة اليومية، أقصد دروسي الخصوصية، فكرت في أن أحضر حلاوة المولد كعادتي كل عام؛ حتى أدخل بها الفرحة على أمي، فتسر بها وتدعو لي.

كانت الساعة قرب التاسعة مساء، والطرق مزدحمة بالسيارات، وأنا أتمشَّى كأني في نزهة، لم أكن أتامل الطريق بقدر ما كنت متعبًا وقدمي لا تكاد تحملني، أثر الوقوف منذ السابعة صباحًا!

الطريق إلى موقف السيارات يستغرق مني عشر دقائق في الصباح؛ ولكنه استغرق حتى الآن خمس وعشرين دقيقة، والمحل أبعد من موقف السيارات بحوالي خمس عشرة دقيقة صباحًا وثلاثين دقيقة مساء.

"يا ليتني ركبت التوكتوك.. في داهية الـ5 جنيه يا أخي".

هذا ما حدثتني نفسي به؛ وكلما هممت بالإشارة إلى توكتوك لكي يتوقف ناداني صوت الشحّ العميق في نفسي، فأجرجر قدمي التي أعلنت ثورتها أكثر من مرة، ولكني لم أستجب لمطالبها أبدًا!

حاولت تسلية نفسي بتفحُّص المباني المجاورة للطريق، فأقرأ نصًّا بالإنجليزية لأعلق عليه محاولًا وضعه في قائمة أفكاري للبراجراف الذي سأعده في الامتحان القادم للطلبة.

في الحقيقة جمعت أفكارًا كثيرة، ومضى الوقت سريعًا كما توقعت، وأخيرًا وصلت المحل...

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام أؤمرني يا باشا.

- لو سمحت كنت عايز كيلو حلاوة المولد ويكون مشكِّل وحياتك.

- آاااه، للأسف يا باشا الحلاوة خلصت من امبارح وكل سنة وأنت طيب.

- معقولة؟ ده المولد لسة فاضل عليه 10 أيام.

- ما هو كل سنة الناس بتخلص ع الحلاوة بدري، عامة دوَّر عليها عند الناس اللي بيفرشوا في الشارع.. هما بيكونوا مخزنين وعاملين حسابهم.

- تمام، شكرًا.

غادرت المحل وقد أصبت بالإحباط، فأنا أعرف أن حلاوة هؤلاء الباعة ليست بجودة حلاوة المحل، كما أنهم لا يتركونك لتختار بنفسك، فضلًا عن أنها غالية الثمن.. ماذا أفعل؟ فأمي وإخوتي ينتظرونها كل عام..

لم أفكر طويلًا.. فليس عندي حل آخر، سأشتريها من أحد البائعين في الشارع وأمري لله..

تمشيت قليلًا كأني عائد إلى موقف السيارات، فلمحت عربة على يمين الطريق، ويوجد حولها بشر يتزاحمون، فعلمت أنهم مساكين مثلي لم يلحقوا المحل.

تحاملت على نفسي وهرولت نحو العربة كي لا تنفد الحلوى فأعود بخفي حنين مرة أخرى.

كاد نفسي ينقطع.. لولا أن وصلت أخيرًا وأصبحت ملاصقًا للعربة، بعد معركة عنيفة مع أقراني من المتخلفين.. ناديت على البائع كي ينتبه إليَّ، ولكن أي بائع؟! يا الله ماذا أرى؟!

بائعة بهذا الجمال والقوام والعيون الليلية تبيع الحلوى؟

لقد اضطربت قليلًا، وأدركت لماذا يزدحم الناس - أقصد المحرومين - هنا.

دقائق من السكرة أسكرت كل من رآها ووقفوا جميعا كأن على رؤسهم الطير.. لا أحد يتحدث إذا تحدثت، فالكل يحاول أن يلفت انتباهها لتتعطف عليه بنظرة أو ربما ضحكة أو ربما الكلمة التي لن ينساها طول عمره.

- أنت يا أستاذ يا مسبسب أنت عايز كام كيلو؟

نظرت خلفي لأرى من المحظوظ الذي تحدثه، فلم أجد أحدًا.. فعرفت أن المقصود بسلامته أنا، فارتبكت قليلًا وتوقفت الكلمات في صدري، فقالت ضاحكة:

- أيوة أنت.. بتشبِّه ولا إيه؟! خلَّص يا خويا ورانا غيرك.

- أنا عايز 5 كيلو.

- حاضر يا خويا.. إيدك على 150 جنيه.

لا أدري ماذا قلت.. ولا أدري كيف حسبتها.. ولم أسأل عن سعر الكيلو.. المهم مددت يدي في جيبي وأخرجت محفظتي لأعطيها ما طلبت.

-اتفضل يا خويا.. مع السلامة.. وكل سنة وأنت طيب.

لم أرد عليها، ووقفت كاللوح لا تكسرني سوى عيناها التي سحرت الجميع.

أخذت الحلوى التي كانت قد ثقلت علي فجلست لأستريح في منتصف الطريق إلى موقف السيارات.

لم تقاطعني الأفكار طيلة الطريق، ولم يتوقف خيالي عن زيارة تلك الفتاة في مخدعها وملامسة جسمها الدافئ وتقبيل ثغرها، حتى وإن بدا متجهمًا بعض الشيء، إنها دقائق لن تنسى في حياتي.

كانت ليلة حلوة بكل ما فيها، حتى وإن ثقلت عليَّ حمولة الحلوى، فاضطررت لإيقاف توكتوك، واتفقت معه على توصيلي إلى المنزل بـ10 جنيهات، وحدثتني نفسي:

"عشرة جنيهات مرة واحدة يا مفتري! وأنت لا تدفع أكثر من جنيه أجرة توصيل كل يوم". فرددت بحزم: "لايهم.. فالكل يهون مقابل نظراتها الفاتنة التي لا زالت تثير فضولي.. لعنة الله على الخيال".

نزلت من التوكتوك بعد أن وصلت أخيرًا أمام المنزل.. ودسست يدي في جيبي لأخرج محفظتي، ولكن أين المحفظة؟!

أخذت أفتش عنها في جيوبي وأنظر حولي، وبحثت داخل الكيس الذي به علب الحلوى، ولكن دون جدوى..

آه! تذكرت.. ربما نسيتها داخل التوكتوك..

فعدت مرة أخرى إلى الكرسي كي أبحث عنها، ولكنها اختفت!

نظر إليَّ السائق في حيرة وقال: "في حاجة واقعة منك يا أستاذ؟ محتاج مساعدة؟!"

وقلت يائسًا: "آه. شكل محفظتي اتسرقت".

وكنت رأيت في عينيه شرًّا لم أكن آمن عواقبه، فاستدركت قائلًا: "ولكن اطمئن.. في معايا فكة في جيبي"..

عندئذ تحولت نظراته لرضى مصطنع، ورد قائلًا: "ولو مش معاك عادي، يا ما حصلت معانا كتير وزهقنا من كتر المناهدة مع الزباين، ربنا يتوب علينا من دي شغلانة".

لم يكن من بدٍّ سوى الرجوع مرة أخرى إلى تلك البائعة الجميلة التي سرقت قلبي ومحفظتي معًا.. طلبت من السائق أن نعود إلى المحطة وأن يسرع حتى نلحق بالمحل - أقصد العربة - قبل أن تغلق..

كانت هذه هي المرة الأولى التي أفقد فيها محفظتي، ربما كان هذا عقابًا لي من الله أو كانت منحة أخرى حتى أرى تلك الفتاة التي مكثت أفكر فيها طوال الطريق ولم يقطع تفكيري سوى بضع نداءات حمقاء من السائق "إيه يا أستاذ أنت مش معايا ولا إيه!"

أخيرًا وصلت أمام عربة الحلوى فطلبت من السائق أن ينتظر، وعندما لمحتني البائعة بادرتني قائلة: "جاي تسأل عن المحفظة مش كدا؟!"

فأومأت برأسي أن نعم، وقلت: "يعني أنتي اللي سرقتيها؟!"

فردت مستنكرة: "أنا؟! ولا أنت اللي ما كنتش على بعضك يا أستاذ! أنت نسيتها وأنت بتطلع الفلوس، واتفضل أهيه عد فلوسك، واطمن على حاجتك".

أخذت المحفظة وبدأت أفتش عن كل ما فيها، وقمت بعدِّ النقود، ولم تكن قد تغيرت حتى في ترتيبها.

قلت لها: "شكرًا على أمانتك، ممكن تاخدي المبلغ ده مقابل أمانتك".

فردَّت ضاحكة: "الأستاذ دسوقي بقى بيدِّي فلوس! أهي دي بقى قمة الإعجاز".

نظرت إليها مندهشًا، كيف عرفت اسمي؟ وكيف عرفت أني بخيل - أقصد حريص - ولا أفرط في النقود بسهولة؟!

وسرعان ما أجابت عن فضولي قائلة: "آه أنا عارفاك، أنت أستاذ دسوقي بتاع الإنجليزي.. كنت باخد عندك في ابتدائي أيام ما كنت بتدِّي دروس تحت السلم قبل ما تتشهر".

قلت مقلِّبًا في ذاكرتي التي لم تخنِّي أبدًا:"آه، تذكرتك.. إنتي كنتي بتاخدي عندي وكنتي شاطرة جدًّا وتوقعت تبقي دكتورة مع إنك كنتي غلباوية جدًّا".

فردَّت ساخرة: "آه.. دكتورة في البيع ع الأرصفة.. يمكن لو أهلي كان معاهم فلوس يصرفوا على دروسي الخصوصية في ثانوي.. أو كنت ما أخدتش مني فلوس بعد ما شرحتلك ظروف والدي وإنه بيصرف علينا بالعافية.. يمكن ما كنتش حولت لدبلوم وبقيت زي ما أنت شايف كدا".

نظرت إليها في خجل، ولم أجد ما أقوله، وأحسست نفسي تلميذًا وهي المعلمة باقتدار.

لم تمهلني لإجابة كانت تعرف أنها بلا فائدة.. وقالت: "عن إذنك يا أستاذ.. هنلِم الفرشة، أنا مخلَّصة من بدري.. وكنت مستنياك ترجع عشان تاخد محفظتك؛ إبقى خد بالك من ولاد الناس، وخاف عليهم زي ما أنت بتخاف على حاجتك!"

انصرفت والمشهد كأنه مسرحية يعاد عرضها أمام عيني كل ثانية، لا سيما وأني تذكرت في هذا اليوم أن طالبًا كان قد تأخَّر في دفع شهرين فطردته، وكم من طالب طردته ! بحجَّة أنه يتهرَّب من الدفع من أجل إنفاق النقود على ألعاب الكمبيوتر والبلاي ستيشن، ونسيت أن التدريس رسالة أسمى بكثير من مجرد مهنة نتقاضى مقابلها أجرًا..

عدت في اليوم التالي وطلبت من الطلبة الذين يعرفون هذا الطالب الذي طردته بالأمس بأن يخبروه بالعودة، مع بشرى سارة لكل الطلبة والطالبات بأني خفضت ثمن الحصص إلى النصف، ومن عنده ظروف ينتظرني آخر الحصة، وعندئذ صفق الجميع وبدوا مسرورين، بل وهتفوا قائلين: " يعيش الأستاذ دسوقي".

لقد كانت فرحتي لا توصف؛ وأحسست يومها بفضل تلك الفتاة التي غيرت نظرتي للحياة، وكنت عندها تلميذًا في حصة درس خصوصي.

مجرد كلمات

تنتظر كلماته الجديدة كل يوم.. وتفكر فيها قبل النوم.. ولكن أي نوم يأتيها؟ فقد خاصمها منذ عام.. منذ أن رد عليها السلام.. وكعادته شكرها على حسن الكلام.

أغلق كل الرسائل بينها وبينه ،فهو مجرد كاتب يقرأ آراء معجبيه ويشكرهم عليها.. ولكن لماذا تقرأ نص الرسائل بينها وبينه كل يوم؟ ترى ما هو السر؟ هل وقعت في حبه؟! أم هو مجرد حالة إعجاب.

لا زال السؤال يعاتب الإجابات على عدم الرد، ولا زالت الأمنيات تنادي الأحلام ليحلقا معًا في بحر الشك، هل لا زال يعرفني؟

هل لفت انتباهه تعليقاتي المعتادة على كتاباته وثنائي عليها دائمًا، وليكن ذلك.. فلماذا لم يرد على رسائلي منذ شهرين؟!

هل "زودتها" أكثر من اللازم؟ هل كان الكلام غير ملائم، ولكنى سألته أكثر من مرة لماذا لا يجيب، وعاتبته مرارا، يا لي من غبية!

ربما وقته مشغول أو هناك شخص آخر يدير حسابه..

لا أدري.

هل أستمر في مراسلته عسى أن يرد عليَّ في يوم ما؟!

أم أكتفي بمجرد الإعجاب واللقاء عبر الشبكة العنكبوتية من خلال كلماته؟!

يا إلهي! كم تعلقت قلوب ببعضها ولا تدري ما السبب! وما أغرب هذى الدنيا المليئة بكل العجب!

فأنا أقرأ لغيره بالآلاف.. ولكن لماذا هو بالذات من رق قلبي له؟

ولماذا تجذبني كلماته دائما وأصنع لنفسي طريقا بينها فأجري وأضحك وأعانق وأطير...

وأبكي كثيرًا إذا كانت الكلمات مؤثرة، وتحمل كثيرًا من المأساة والحزن، فأجري بسرعة وأسأله ما بك؟ أخبرني يا حبيب القلب!

وكالعادة أسمع الإجابة من نفسي: لا عليكِ إنه بخير ، ولا داعي للقلق، إنها فقط مجرد كلمات!

وتمر الساعات ولا زالت تنتظر جديد ما يكتب...

وفي تلك الليالي الصيفية، تجلس وحيدة لايؤنس وحدتها سوى الأمطار التي تتساقط من عينيها على مر الأيام، ولا تعبأ أبدًا بفصول العام.

عن الكاتب

اسم الكاتب/ محمود العيسوي

صحفي وكاتب مصري*

***شارك في مسابقة زحمة كتاب وفاز بالمرحلة النهائية مع عدد من الكتَّاب.**

***كتاب خيالات من الواقع مع مجموعة من الكتَّاب - معرض القاهرة الدولي للكتاب 2017 .**

***نشر له عدة مقالات في جريدة الشرق القطرية.**

***نشر له قصص قصيرة ومقالات في مجلة "نادي المصريين في قطر."**

***نشر له قصة "ذكريات لا تموت" في مجلة "صوت الأحرار الإلكترونية".**

الفهرس

إهداء	5
خيوط العنكبوت	11
الصفعة	19
ليلة الـ 2 جنية	27
الشارد	47
ذكريات لا تموت	51
فإنها لاتعمى الأبصار	61
أحلام منسية	67
المُتمردة	79
ليلة زفاف	85
جعلتني مرشدًا	93
نظرة أمل	99
درس خصوصي	103

مجرد كلمات 113
عن الكاتب 117